صاحبها ورئيس تحريرها
مدحت عكاش
MADHAT AKKACH

الثقافة
مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق - ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

آب (اغسطس) ١٩٦١
العدد الثالث
السنة الرابعة

المدينة والعدالة

بقلم : الدكتور عادل العوا

اختلفت الفلاسفة والمفكرون ، في متباين العصور والبيئات ، حول تعريف الانسـان . فمنهم من قال انه حيوان ناطق ، اي مخلوق حي عاقل بالرشد والمعرفة والادراك . ومنهم من رأى ان الانسان حيوان فيلسوف ، لانه لا يكتفي بادراك المحسوس ، بل يجاوز الواقع الى ما وراء الغيوم ؛ ومنهم من الحف على الناحية البديعية في وجود البشر فقال : إن الانسان حيوان ضاحك ، اي انه كائن عاقل لعوب يتذوق بالقلب والحس معرفة الوجود ، وينفرد دون سائر الكائنات بمحبة الجمال والروعة والرشاقة والفكاهة والدعابه وفنون الضحك والاضحاك .

غير اننا نعف عن هذه التعريفات المختلفة ، ونقترح في هذا المقال ان يعرف الانسان بانه كائن حالم ملول ، انه كائن لا يرضى بما يفعل ويشاهد ، وانما يحلم دائماً بغير ما يرى من حوادث واشياء « وبغير مـا ينجز من اقوال واعمال .

من ذلك مثلا ان الانسـان لا يرضى بواقعه ، اي واقع كان . بل تجدة يمل طعامه اذا تكرر مرتين ، ويمج شرابه ان اخذه على دفعتين . والطفل يكسر دميته بعد المداعبة الاولى . والفتاة تذوب خجلا ان برزت في المجتمع بثوب واحد كرتين . ولا تحسبن ان الراشـد المثقف العاقل بمنجاة عن طلب التغيير والتبديل . بل ربما عظم الامر عنده حتى مل المفكر فكرته قبل ولادتها احيانا ، ولفظها من قبل ان يخلقها ويصيغها لحسبانه انها من الافكار المبتذلة والمكرر المعاد .

غير ان الانسان يطلق اسماً مغريا ، ويضع اشارة فاتنة على هذه النزعة الحالمة الملول حين يسميها بنزعة التقدم والتطور والاصلاح . والحق ان التقدم يعني - لغويا - السير الى الامام ، والحركة في اتجاه معين مرسوم . ولكنه ، بالمعنى الاصطلاحي تحول تدريجي من الاقل حسناً الى الاحسن ، والانقص الى الاكمل ، ومن الدون الى الامثل . وهذا التحول رقي منشود ، وهدف مرموق ، وغاية مرتجاة ليست وراءها زيادة لمستزيد .

والحق ان نظرة الناس الى حلمهم الجميل بالتغيير والتبديل ، ولنقل معهم انه حلم بالتقدم والنهضة والاصلاح ،

انما هي نظرة تتقارب بحسب المشارب والمشاغل والعصور والبيئات انها فلسفة تختلف باختلاف كل قوم، وتتباين بتباين ثقافة الامم والاجيال. المتفائلون يعتبرون التقدم انتقالا من الادنى الى الاعلى، والمتشائمون يعتبرون التقدم حالا غابرة، وواقعا قديماً، وماضياً يزيده البعد الزمني تضاؤلا وذبولا.

مثال النظرة المتشائمة: ايمان بعض المفكرين بالعصر الذهبي الذي كان الناس فيه سذجاً ابرياء لايعرفون الهم ولا الكرب، ولا يعانون البؤس ولا القلق، ولا يضطرون الى العمل والعرق في سبيل لقمة العيش. كانوا - في هذا الرأي - ولا يشيخون ولا يهرمون. وكانوا يتلذذون بالفاكهة الطيبة في الولائم السخية وكانت الارض تهب خيرها من تلقاء ذاتها. وكانت خيرات الارض نهباً موزعاً بالعدل بين الناس. ثم انحدرت الانسانية فهبطت من العصر الذهبي الى العصر الفضي فالنحاسي فالبطولي فالحديدي.

وهذا التدهور يلزم الانسان بالبؤس لرفع الشقاء، وبالنصب والتعب من اجل الخلاص من هذا النصب والعناء!

اما النظرة المتفائلة فانها تتجلى في طائفة الاصلاح الوردية التي اعربت عنها البشرية على لسان شعرائها ومفكريها، بل على لسان الناس كافة. مثال ذلك: حلم (افلاطون) و (الفارابي) بالدولة المثلى وهي دولة فاضلة تحقق كمال العدالة الاجتماعية وتقضي على اسباب الشر والفسق والضلال، فتوزع فيها مثلا اراضي الجمهورية على المواطنين، او انها تغدو ملكا مشتركا بينهم فيقضي ذلك على الاثرة وحب التملك والاستئثار بالنفوذ والانسياق وراء الشر والطغيان وشاحذ الاحتكار.

و (الفردوسي) مفكر آخر حلم بمجتمع جميل فيه تمحي الامراض، ويختفي الالم، ويموت الموت، ويبلغ الاطباء مرتبة اليقين في علم الطب، وينمو العقل والذكاء وتتسع الثروة وتعم، وتتحقق للناس شروط مثلى في الغذاء والسكن والمناخ واللباس، وتتاح لهم جميعاً لذة التطيب بالروائح الذكية، والاستمتاع بعبق الورد والياسمين ويتاح لهم نعيم الفن الجميل في ظل الطمأنينة والامن.

وحلم اسلافنا العرب، كما حلم (كامبانيلا) و (بيكون) بسيادة العلم والعدل، وظهرت في التراث العربي فكرة المهدي المنتظر الذى سيملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً. وحددت لذلك امكنة جغرافية، منها بعض جوانب المسجد الاموي بدمشق على ما هو معلوم!

اما اخوان الصفاء فقد قسموا الناس الى صاحب علم وصاحب مال. وطلبوا ان يعين احدهما صاحبه في جو اشتراكية مثقفة تبدعها المحبة ويدعمها تبادل الاحترام.

ولو شئنا التعمق في دراسة هذه الجنان الارضية التي لمحتها البشرية في تاريخها الموصول، سواء على اعتبار انها جنان «كانت» او انها جنان «ستكون»، تشعبت امامنا فنون القول، وتعددت مطارح الكلام، ووجدنا ان من الناس من حسب ان التقدم يمشي على خط مستقيم فيبدأ من الانقص متجهاً الى الاكمل الاعلى، او يسير بالاتجاه المعاكس على حسب رأي المتشائمين. ومنهم من يرى ان التقدم ليس حركة مستقيمة بل دارة مغلقة تبدأ من نقطة ثم تعود اليها. او انها دارات متعاقبة بين الامم تعود والاقوام كما ذكر (ابن خلدون). او ان التقدم ليس خطاً مستقيما، ولا خطا دائرياً، بل هو خط لولبي ولا يرجع التاريخ فيه البته الى ما كان عليه مرتين.

بين ما نود ان نبرزه في هذا المقال يلخص في ان التقدم فكرة حلم بها البشر لان النفس الانسانية المرهفة ملول. وقد حلموا بها تبع مشاغلهم وثقافتهم وفلسفاتهم في البيئات الحضارية التي تعايشهم وتكتنفهم وتدغدغ عواطفهم وامانيهم، ويتمخض عن هذا التفاعل والتنوع والتباين امران ثابتان: احدهما ان كل امة من الامم اليوم تشرئب الى فكرة مثلى هى فكرة المدينة التي تعتبر ذروة الذرى في حقل التقدم الانساني العام؛ ثم الامر الآخر وهو العدالة الاجتماعية التي تعتبر غاية ما يحلم به الناس في كل وطن، وداخل كل امة على انفراد.

اندلسيات شوقي

بقلم الدكتور - محمد مندور

هذا كتاب جديد عن شاعرنا الكبير احمدشوقي الفة الدكتور صالح الاشتر الاستاذ بكلية الآداب بجامعة دمشق وعنوانه « اندلسيات شوقي » وهو بحث تطبيقي في ادب شوقي في المنفى واثر الاندلس فى شخصيته وفنه والعنوان الفرعي الاخير هو الذي يمكن ان يعطى فكرة مقاربة عن مضمون هذا الكتاب الذي لايتحدث عن أندلسيات الشاعر وحدها. بل يتحدث عن تطور احمد شوقي الشعري والفكرى بوجه عام ويقارن بين اتجاهاته قبل النفي وبعده واثر هذا النفي في توجيه شاعريته وهو الاثر الذي لم يتجل اثناء فترة النفي ٠ بل تجلى بعد عودته الى الوطن في سنة ١٩١٩ .

وذلك لان الفترة التي قضاها احمد شوقي مـن سنة ١٩١٥ حتى سنة ١٩١٩ منفيا عن الوطن بامر سلطات الاحتلال البريطاني كشاعر للخديوي عباس الذي منعه الانجليز من العوده الى مصر عند نشوب الحرب العالميـة الاولى وولوا مكانه السلطان حسين كامل هذه الفترة لم تكن من فترات الخصوبة الشعرية فى حياة شوقي كما يدلنا بحق مؤلف هـذا الكتاب . (استخدم الدكتور الاشتر الكتب التي احتفظت لنا بذكريات حية مباشرة عن حياة شوقي مثل كتاب « ابى شوقي » لابنه الاستاذ حسين شوقي واثنا عشر عاما في صحبة امير الشعراء لسكرتيره الاستاذ احمد عبد الوهاب

بلفظ آخر ؛ المدنية حلم انسـاني شامل يضم جهود الامم والاقوام بعضها الى بعض ليؤلف من ورودها المهذبة باقة منسقه تسحر الالباب . والعدالة الاجتماعية حلم قومي تنظر اليه كل امـــة على انفراد وتسعى الى تحقيقه بحسب مشـاغلها الراهنة وظروفها التاريخية واهدافها المشخصة . فالعدالة الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة غرض مشترك تضطلع القومية العربيـة بعبء تحقيقه داخل اطار الدولة لتكفل للمواطنين ، بمعاونة المواطنين ، مستقبلا افضل ، وعيشاً أكمل ، وحياة ملؤها الكرامة والسعادة والرفاه وهذه العدالة حلم لم يبق خيالاً في دماغ ، ولا صورة على جدار ، بل اخذت الوقائع تترجمه الى لغة الوجود بـما ظهر - ويظهر من عناية برفـع اسباب الظلم الاجتماعي والاحتكار والاقطاع ، وحرص على تنمية اسباب المساواة والتعاون والمشاركة بحمل العزم والتمتع بالغنم واعادة النظر في تكافؤ الفرص بين المواطنين سواء بسواء .

اما المدنيـة فانها حلم آخر يظل فيما وراء حدود القوميات ، كل القوميات ، ويتميز بانه حافز انساني عام ، وهدف مثالي أسمى ، اليه تشرئب امتنا ، كما تشرئب امم الارض كافة في العصر الحديث ، حين تتعاون وتتازر ، على وجه مفترض من الاخلاص والصدق والشمول ، فتسهم الدول والاقوام جميعاً بحمل راية الحضارة والعمران ، والقضاء على اسباب الظلم والعدوان ، ويكون ذلك ، من جهة اولى ، برفع كل ما يدعيه انسان حين يتعالى على اخيه الانسان ، ويقيم في وجه الاخوة والولاء عوائق الاستعمار الامتهان والتفرقة باللون او المعرفة او علم الصواريخ ومجاوزة الفضاء .. ، كما يكون ، من جهة اخرى ، بزيادة الالفة والمحبة والتعاون بين البشر بجامع ان لهم « صورة انسانية واحدة » فطن اليهـا بعض مفكرينا العرب القدامى ، وفطن اليها غيرهم من المثاليين الحالمين الاجلاء !.

عادل العوا

ابى العز وكتاب شوقي او صداقة اربعين سنة للامير شكيب ارسلان — استخدم هذه الكتب وامثالها في تتبع حياة شوقي وبخاصة في المنفى فعلم منها ان شوقي عندما غادر مصر سنة ١٩١٥ هو وزوجته واولاده وخدمه قد استقر في ميناء برشلونه على شاطىء باسبانيا باعتبارها اقرب ميناء يستطيع ان يعود منها الى مصر بمجرد ان تسنح الفرصة .

وفي برشلونه اقام ثلاث سنوات لا يبرحها وبذلك لم تكن اقامته في ارض الاندلس ولم يشاهد تلك الارض الا بعد ان وضعت الحرب اوزارها واحس بقرب عودته الى الوطن ثم تاخر السماح له بتلك العوده فانفق الاشهر التي مرت بين انتهاء الحرب والسماح له بالعودة الى مصر في رحلة قام بها في الاندلس حيث زار قرطبه واشبيلية ولم يزر طليطله . وبذلك لم يتصل اتصالا مباشرا بأرض الاندلس وما خلف فيها العرب من اثار الا خلال هذه الرحلة .

واما السنوات الثلاث التي قضاها في برشلونه فالواضح انه قضاها في حالة نفسية قلقة كئيبة لم تستطع معها ان تنشط ملكته الشعرية التي تفتحت في ظل النعيم وفي كرمة ابن هانىء على ضفاف النيل . وكان شوقي قد خلف في مدينة حلوان امه التي لم تشأ ان تصاحبه في منفاه وكان شديد التعلق بهذه الام شديد الخوف على حياتها . واذا كان الانجليز قد سمحوا لوكيل اعماله بان يرسل له من المال ما لا يتجاوز قوته هو واسرته في المنفى لانه كان دائم الخوف ان يقطع الانجليز هذا المال رغم انه ماله الخاص ورغم ان ما يرسل الضروري وكان شوقي يامل ان يسمح له الانجليز بالعودة الى وطنه بمجرد انتهاء الحرب . وفعلا سمحوا في سنة ١٩١٩ وان تكن عودته لم تتم الا بعد وفاة الام ووصول نبأ وفاتها اليه في آخر ايامه بالمنفى .

واستفاد الدكتور صالح الاشتر من هذه المعلومات التاريخية الوثيقة ليتابع خطوات احمد شوقي في منفاه منذ ان غادر مصر حتى عاد اليها والمرجح ان المؤلف قد انتهز فرصة دراسته في جامعة السربون بباريس لكي يقوم برحلته الى اسبانيا ومن هناك تتبع خطوات احمد شوقي في رحلته الاندلسية والوثائق التاريخية بين يديه فشاهد كل ما شاهد شوقي من اثار عربية قديمة كالمسجد الكبير وقصر الحمراء وغيرهما واتخذ من هذه الدراسة على الطبيعة اساسا لدراسة ما نسميه باندلسيات شوقي الشعرية والنثرية وذلك لان شوقي اذا كان اكتفى بالاقامة في برشلونه ثلاث سنوات النفي ولم يحاول ان يشاهد شيئا من ارض الاندلس واثارها العربية خلال تلك السنوات فانه قد انفق هذا الوقت الطويل في القراءة . وبخاصة عن تاريخ الاندلس ومجدها التليد . فكان « نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب » للمقري من اهم الكتب التي اصطحبها معه شوقي في منفاه واطال القراءة بها وعن هذه القراءة صور احمد شوقي الكثير من اوصافه لاثار العرب في الاندلس على نحو ما استطاع المؤلف ان يدلنا حيث يعلق على بعض ابيات من السينية بقوله ربط ويطوف شوقي في ارجاء المسجد حتى يبلغ المحراب وهناك يبحث عن منبر المسجد فلا يجده ذلك ان المنبر قد اختفى من المسجد منذ العصر الوسيط ولكن شوقي يستطيع ان يجد المنبر في كتب التاريخ وان يصوره في شعره ويتحدث عن اشهر خطيب كان يعتني زروته وهو القاضي منذر بن سعيد البلوطي المعروف بعدله وزهده وجرأته في الحق .

منبر تحت منذر من جلال
لم يزل يكتسيه او تحت قس

ويبحث شوقي في المحراب عن مصحف عثمان فلا يجده أيضاً ذلك لان الموحدين حملوه معهم الى مراكش منذ القرن السادس ولكن شوقي يستطيع ان يجد المكان الذي كان المصحف العثماني يحفظ فيه ومكان الكتاب يغريك بيا . ورده غائبا منذ نوالمس .

ثم يقول المؤلف ، وهكذا ينتهى حظ قرطبه من القصيدة وينقل شوقي منها الى غرناطة والحمراء .

والمؤلف يأخذ على شوقي عند تقييمه النهائي للاندلسيات في الفصل الاخير من الكتاب صدوره عن القراءة اكثر من صدوره عن المشاهدة . هذا نقد نخشى لو اخذ شوقي به او عمل على تجنبه ان تاتى اندلسياته وبخاصة السينية التي يصف فيها رحلته عبر بلاد الاندلس كلها بكاء للديار فقرطبه نفسها لم تعد في الوقت الحاضر غير قرية صغيرة لا توحى بشيء من عظمتها العربية القديمة وما تبقى بها من اثار مهجور في حكم الاطلال . وانما نستطيع ان نقر المؤلف في تساؤله عن اهمال

شوقي لوصف مشاهد الطبيعة الرائعة في بلاد الاندلس وهي روعة لاتزال محتفظة بها طبعا . كما نستطيع ان نقره في عدم العثور في سينيه شوقي وغيرها من اندلسياته على ثورة نفسية ضد الانجليز الذين نفوه عن وطنه وتغنى بالحرية على نحو ما فعل شاعر . كفيكتور هيجو مثلا عندما نفاه نابليون الثالث الى جزر جرسيه فصب على الظلم والاستعباد جام غضبه الخالد وتغنى بالحرية حتى عرف بشاعرها وان كنا نستطيع في سهولة ان نفسر هذا الموقف من شوقي بل وان نجد له مبررا في انه كان رجلا لاطاقة له على النزال العنيف ولا على شظف العيش فقد كان يعيش في منفاه على قليل من المال الذي يسمح الانجليز لوكيله بارساله اليه فضلا عن انه كان بطبعه رجلا هادىء المزاج يؤثر السلامة حتى رأيناه يرفض ان يغادر برشلونه الى فينا التي كان يقيم فيها الخديوي عباس الذي عرض عليه ان يوافيه بها في غواصة ألمانية وما من شك في ان شوقي كان يفضل ان يرضى بالنفي وان ينتظر نهاية الحرب ليعود الى وطنه على ضفاف النيل ولذلك رايناه يسكت عن ظلم الانجليز مدة النفي ويكتفي باشارات خفيفة الى هذا الظلم مثل قوله في السينية .

احرام على بلابله الدوح

حلال للطير من كل جنس

يحدد على وجه دقيق مانقصده من عبارة الاندلسيات فاكتفى بأن يدخل فيها كل ما كتبه شوقي في فترة نفيه حتى ولو لم ينصب على الاندلس وما توحي به من مشاعر وعبر . فادخل في الاندلسيات الفصل النثري الذي كتبه شوقي بعنوان « قناة سويس » ونشره في كتابة « اسواق الذهب » ثم الارجوزة الطويلة التي كتبها الشاعر في اشبيلية عن دول العرب وعظماء الاسلام وهي ارجوزة تعليمية اقرب الى النظم منها الى الشعر ولا تحظى فيها الاندلس باشارة عابرة واما القصائد التي تستحق ان تسمى حقا بالاندلسيات فهي الاندلسية التي يعارض فيها بن زيدون والموضحة التي كتبها عن عن صقر قريش . ونشرت خطأ مع الارجوزة السابقة كما نشرت ايضا في الشوقيات وهو مكانها الحقيقي لانها ليست نظما تعليميا بل شعرا رائعا يهز وجداننا بعظمة صقر قريش عبد الرحمن الداخل واخيرا سينيته الشهيرة التي وثق فيها رحلاته الاندلسية وعارض فيها سينيته البحتري واخيرا البائية التي كتبها في سنة ١٩٢٠ بعد عودته من المنفى وهي القصيدة التي يرى المؤلف بحق ان حرارة الشاعر قد وصلت فيها الى مالم تصل اليه اية اندلسية اخرى . ويعلل ذلك بان شوقي قد كتبها بعد ان انطلقت روحه في منفاها ونفضت عنها الشعور بضاضة هذا النفي بحيث اصبح الشاعر قادراً على ان يتغنى بالاندلس وذكريات نفيه وتجداله بها بروح حرة حارة منطلقة . بل ويتغنى بفرحة العودة الى الوطن اروع الغناء وينمو بمشاعره الوطنية الى ما فوق مشاعره الدينية ذاتها رغم ماعرف به في شعره من وضع الشعور الديني دائما في اوسع مكان فنراه يقول فيها .

ويا وطني لقيتك بعد يأس

كأني قد لقيت بك الشبابا

ولو اني دعيت لكنت ديني

عليه اقابل الحتم المجابا

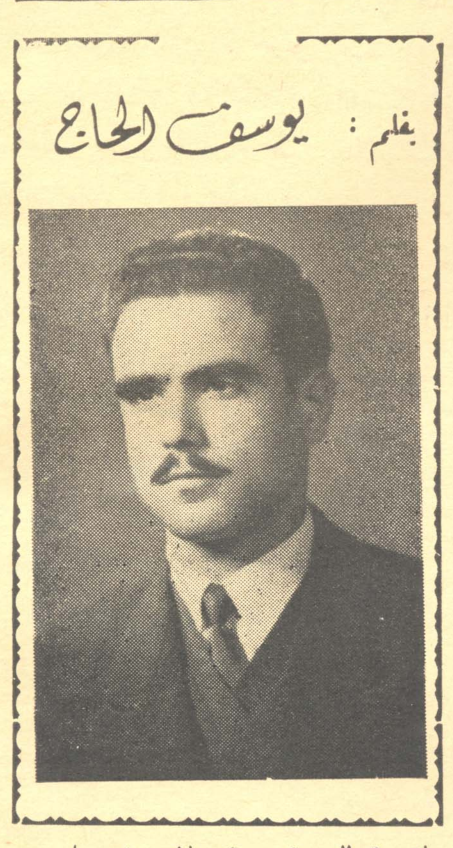
ادير اليك قبل البيت وجهي

اذا فهت الشهادة والمتابا

ويضيف المؤلف الى هذه القصائد رثاء الشاعر لامه وهي قصيدة كتبها ايضا في منفهاه وعارض فيها المتنبي في رثائه لجدته ثم مسرحية اميرة الاندلس التي كتبها شوقي نثرا قبل وفاته بعامين ولكن صور في كتابتها عن قراءاته ومشاهداته وانطباعاته اثناء النفي في الاندلس . ويستعرض المؤلف حقيقة واضحة في انتاج هذه الفترة من تاريخ حياة شوقي وهي حرص على معارضة للقدماء ليثبت انه ليس اقل شأوا في الشعر والنثر معا من فحول تراثنا القديم فهو يعارض ابن زيدون والبحتري والمتنبي في شعره ويعارض فيما يرجح المؤلف على ابا عبد الله بن الخطيب ذا الوزارتين في ارجوزته دول العرب وعظماء الاسلام الذي يقارن المؤلف بينها وبين رقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب ويحاول ان يظهر مواضع المعارضة بين هاتين الارجوزتين التعليميتين ويؤكد المؤلف ان شوقي قد عارض في مقاله النثري عن قناة السويس . من فصول نثره المسوح المنشوره في اسواق الذهب الاثار العربية القديمة مثل اطباق الذهب « للاصفهاني واطواق الذهب الزمخشري ويحاول المؤلف ان يبحث عن اسباب لهذا الاتجاه عند شوقي في رغبته في تحدي اؤلئك القدماء وحرص على جزالة اللفظ وفخامته وامتحان طاقته

اشياء تحبها السمراء

بقلم : يوسف الحاج



خرجت من منزلي غاضباً . كانت الساعه تشير الى الثالثة بعد الظهر ، والشمس تطلق حممها المدمرة وسط عاصفة من الغبار الاصفر في سماء رملية ... جبيني كالصفحة البيضاء . منذ يومين لم أدخن حتى لفافة واحدة. لم اكن بحاجة الى انتظار سيارة الباص . وفكرت في وجه قاطع التذاكر عندما اصرخ في وجهه قائلا له : « هوبه » انه لن يسمعها اليوم ، او ربما لايام كثيرة ..

كان الاسفلت يتوهج بأشعة سوداء كاوية ، والقلعة القديمة تنتصب على يميني .. وايدي الموت النبيلة التي تحاول سحقي ، كانت تتلوى في الفراغ المتوهج ، والشمس تزداد حدة كلما غذيت السير . وجبهتي مشرعة على الغرب المحترق .. قطرات من العرق الساخن تغسل وجهي فتفوح منه رائحة التعب ، رائحة الحياة التي اعيشها .. هذه الحياة التي لم تكن لنا حرية الاختيار لها. واشتدت رغبتي لانطفاء النهار .. فالليل مريح وشمسه غير قاتلة .. في مداه تعيش الابعاد البودليرية وتنمو في داخل الصمت واللهاث . وعلى طرقاته المقفرة ، المشبعة بعبق الياسمين ، تستطيل الرحلات اللعينة التي تمتد وتمتد الى ما وراء حدود الحس بالاشياء المجردة ذات الابعاد الخانقة .. الى ما هو ابعد من

الشعرية وانقطاعه للقراءه اثناء مدة النفي وغير ذلك من الاسباب والمبررات التي يعرضها .

وبعد دراسة كل هده الاثار التي يسميها المؤلف اندلسيات ولو لم يكن لبعضها من الاندلس غير كتابتها في فترة نفي الشاعر عن مصر يستخلص المؤلف عن رأيه في هذا الانتاج . ومن اصدق ما لاحظة ان انفعال شوقي الوجداني للاندلس ومساساتها جاء فيها اضعف من حنينه الى مصر ولذلك يرى بحق ان اثر النفي في حياة شوقي لم يكن في اندلسيته بقدر ما كان في تغيير اتجاهه حيث ادى هذا النفي الى تحرر شاعرنا الكبير من التبعية للقصر وبالتالي من التبعية للاتراك العثمانيين وخلافتهم وجامعتهم العثمانية وتحولت الى الوطنية المصرية والقومية العربية عند ما عاد الى وطنه فوجد الشعب المصري سيدا بفضل ثورة سنة ١٩١٩ ووجد القومية العربية تشرق وتخطف الابصار بعد الثورة العربية ورأى شعب مصر والشعوب العربية كلها تحتفي به وترفعه الى اسمى مكان ثم تجتمع كلمتها في سنة ١٩٢٧ على توليته أمارة الشعر العربي فى الحفل الكبير الذي اقيم عندئذ في دار الاوبرا وحضره أدباء وشعراء العرب اجمعين ونهض حافظ ليبايعه يقول .

امير القوافي قد أتيت مبايعاً
وهذى وفود العرب قد بايعت معي

التعب . وتعانق النفس المعذبة في امـــداده الضائعة ، اللاشيئية والغرق .. الليل ضباب اسود يتغفل في ضباب .. نجوم تسكر من نجوم على مأدبة القمر في فردوسه الاسود المنشود .. الليل نوافذه وردية الضوء مشرعة على الوجود البائس .. على الشوارع التي لا ملكية لها .. نحن نرعاها ؛ ونسلي حجارتها الصماء بطرقات أقدامنا الوانية ...!

على طول الطريق المؤدية الى قلب المدينة .. كانت ايدي الموت النبيلة التي تحاول سحقي لتمنحني حريتي .. تتلوى في الفراغ وتنتظر اشارة الشروع ، الا أن ذرة الامل كانت اقوى من عنفها وهي ترقص على الانغام الوحشية . ذرة الامل الوديعة كافية لاستمرار حياة انسان على وشك الاستسلام . وهـــكذا كانت بالنسبة الي في الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم المسمى بالاحد . شعرت بغرابة نحو جميع الاشياء المألوفة .. كنت اراها على حقيقتها للمرة الاولى كانت جميع الحقائق عارية من الزيف .. وكانت الشمس تعاني احتراقا وهاجاً ، وكنت انا نفسي احترق في حقدي الكبير . ومرت بالقرب مني سيارة فخمة يقودها صديق لي من ايام الدراسة معروف بسلوكه اللا اخلاقي . وكان مروره في تلك اللحظة المتورمة اشبه باللعنة علي تفلت على الاسفلت الاسود لتحترق ومضيت في طريقي حتى وصلت الى المقهى فدخلته في الوقت الذي كانت جيبي تصرخ في وجهي وتحتج علي .. ونعمت بنشـــوة الانفلات من تلك الجموع المتدفقة على الارصفة في شتى الاتجاهات والتي تصدم المرء بشيء من الكراهية .

كان صديق لي يجلس وحيداً على طاولة قرب حوض من الازهار الملونة الملوية الرأس . كان يدخـــن وهو مستغرق في تأملاته ، منفصل عما حوله من الناس . لم يكن احداً .. وكل الناس كانوا ايضاً كذلك .. وولوت رغبة مجنونــة في اعماقي .. واشتهيت لفافة ! وزاغ بصري في الجموع المتكدسة على الموائد .. سألني صديقي هل تشرب الليلة ؟ انني أراك جد مرهق .. لم أكن أتوقع قدومك أنظر الى هذه السمراء التي تبحث عيناها عن شيء ضائع .. عن لا أحد .. انها تفترس جميع الموائد بنظراتها الحـادة ولا أدري عمن تبحث .. قلت له هل لديك نقود ؛ فاخرج على الفور من جيبه ليرتين طاعنتين في السن . لقد كان غنيا في نظري من يملك هذا المقدار من النقود . انه يستطيع أن يعمل شيئاً ، وأن يثبت وجوده على الاقل . وتطلعت الى السمراء فاذا هي تتطلع أيضاً نحـــوى وتبتسم ..! واستعدت كلماتها التي حفرت أذني أثناء رقصة في احـدى الحفلات الراقصة : شاب صغير جميل وبيت فخم وسيارة .! وسألت نفسي : أين أنا الآن من كل هـــذه الاشياء .. كانت جيبي تصرخ والساقي يسألني ماذا أود أن أشرب .. فقلت له : لا أريد أن أشرب شيئاً اليوم . فتركني وكأنني متفق معه على ألا يلح علي كثيراً » أو أنه فهم ما أعنيه في هذه اللحظة العارية . وتطلعت ثانية نحو السمراء . كانت لما تزال تتطلع الي وتبتسم .. عيناها تدعواني للانضمام الى مجلسها ، ولمحت في نظراتها الشاحبة الملل الواضح والسأم لكن جيبي كانت تصرخ . قدم لي صديقي لفافة فرفضتها . واقترب مني في تلك اللحظة بائع السجاير وجلس بعد ان اراح علبته المليئة على كرسي قريب ؛ سألته هل يوجد لديه علبة « لوكي سترايـــك » . فنهض على التو الى مستودعه الصغير القائم في الناحية الخلفية في المقهى وعاد جالباً لي السجائر التي أريدها وقال لي انها آخر علبة وهذا الصنف مفقود في السوق . فشكرته وطلبت منه أن يضيفها الى قائمة الديون السابقة فتحت العلبة وسحبت منها لفافة فقدم لي صديقي علبة الثقاب وأشعلت لفافتي وبدأت أعود مـع نفثات الدخان الارج الى طبيعتي وتبدد الجوع في رئتي .

كانت الساعة ترسل دقاتها من جوف مذياع كبير قبل بدء نشرة الاخبار وفكرت في هذا العذاب الذي استمر ساعتين في جو من الهيستيريا العنيفة الراعفة !

بعد قليل انضم الى مجلسنا الخياط ، وقبل أن يجلس طرح سؤاله : هل نستطيع ان نشرب الليلة ؟. لكن أحدنا لم يرد عليه بل اكتفينا بالتطلع اليه بنظرة ذات معنى . وتلاشت النظرة في الجـــو الخانق المرن على المقهى .

طقطقات النرد .. صياح الساقي .. طلبات الماء البارد .. كل هذه الاشياء لم أكن أسمعها منذ ساعة . الا أنها الآن باتت تضجرني وتهوي على رأسي كالمطارق الثقيلة .. كطلقات الرصاص المحموم .. وشعرت بالانسحاق وعادت أيدي الموت النبيلة طافحة . بالحرية رغم عنفها فشعرت بالغثيان . كان حلقي جافاً مراً فمنذ يومين لم أتناول طعاماً سوى المطالعة .. مؤلفات كافكا وكامو وسارتر متكدسة على المكتب ، كانت هي طعامي الوحيد خلال اليومين الماضيين .. !

هبط الليل مصطحباً شحنة من البرودة . تحركت أوراق الاشجار نافضة عنها قليلاً من الغبار النهاري . كانت جموع العائلات تتراكم في المقهى هرباً من جو البيوت الخانق . خفت أن أضيع سمرائي وسط القطيع الكثيف . نظرت الى حيث كانت جالسة فاذا بعينيها تتوهجان كعيون الهرة ؛ لكن الابتسامة كانت منطفئة ، وبدا فمها كجرح قديم حائل اللون منطفىء اللهب ، ولم أجد تفسيراً لذلك سوى اللحن الراقص المرسل من جوف المذياع الكبير الذي لايدرك ماذا يفعل .. ! وتسمرت

عيناي فيها لا عيد اليها الفرحة . لم تعد موجودة ، رحلت وتبخرت هـي والمنضدة والاشجار والاضـواء واللحن وطقطقات النرد وصياح الساقي والوجود بأكمله .. في مدى عميق أسود .. وكان حسي يتدمر هو الآخر ، في رحلة ليس لها اسم . وكان الليل بقيء النجوم .. ملايين النجوم .. !

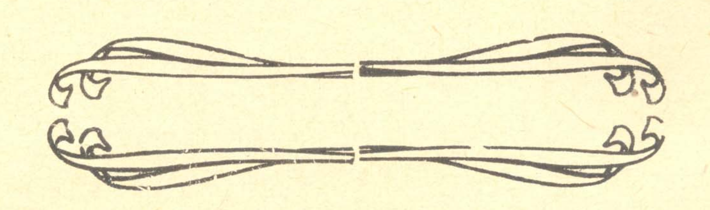
خرجنا – نحن الثلاثة – من المقهى والساعة تعلن العاشرة بدء الليل الحقيقي ونهاية انحدار المساء في هاوية الغروب الحمراء .. !

السمراء هي الآن حتما في دار السينما تعيش احلام الممثلين وتعكسها الى واقـع معذب . بعد دقائق وصلنا الى الشوارع التي تستعيد ملكيتها في قلب الليل .. هي لنـا مادام الليل ، ونفقدها مع خيوط الضياء الفاضح .. كانت الشوارع تفوح بعبق الياسمين وبرائحـة الليل النشوان البحر على زوارق الندى الفضية الى قلب الورود التي تتفتح في ظلاله الناعسة ..

لف صديقي الخياط لفافة كبيرة .. وشرعت الابعاد البودليريه تتبلور على طريقة خاصة ، وكنت احتضن ملء يدي وفمي رائحة ازهار الشر .. تلك الازهار الاسطورية .؟ ولف لفافة اخرى ، وكل خطوة جديدة كانت توصلنا الى امتلاك شوارع أخرى . وتوغلت في التجربـة حتى فقدت الحس بالسمراء .. بالاشياء التي تحبهـا السمراء .. الجمال والسيارة والبيت لم يعد لهـا وجود .. كل شيء هو لاشيء الآن .. ! لم يعد سوى خيط واحد يربطنا نحن الثلاثـة التائهين في بحر السواد ذي الزوارق المضيئة التي تبحث عن مرفأ لها .. وبلغنا أخيراً غاية التعب ، لكننا لم نحب ان نذهب الى النوم ، فقد كان النوم بالنسبة لنا بداية اليقظة .. بداية فقدان ملكية الشوارع الحبيبة وعبير ياسمينها الجريح ، ونهاية الرحلة ، كنت أسائل نفسي ماذا نحاول ان نثبت ، وهل يسمى ذلك غير الهرب من الواقع .. ولكن هل لنا حرية الاختيار . وكانت هيستيريا واعية نوعاً مـا تناقش الاشياء والوجود الشـامل بما فيه تلك الاشياء التافهة التي تحبها السمراء وتدمر حياتهـا .. ولم تكن تتوصل الى نتيجة واضحة .

الريح تهتز فتتحرك اغصان الياسمين المتـدلية على الجدران الصامتة .. الاضواء الوردية المنبعثة من النوافذ لم يعد لهـا وجود .. لقد ضاعت ! وانبلج الفجر أخيراً ؛ وعادت ملكية الشوارع الى اصحابها من ابناء النهار .. وكف الياسمين عن البوح وتململت العصافير في اعشاشها . وانتهى تطواف ثلاثة اشباح شاحبة الوجوه لم تستطع تقبل فكرة الحيـاة على علاتها .. وولد الصباح الجديد مفعما بالاسرار والمصادفات ، ولكن ليس لكل الناس .. كزنجي يغني الحانا سارة تحت غشـاوة من الالم الاصيل .. وفي أعماقي انداحت صلاة للموت طويلة .. ؟!

حمص – يوسف الحاج



صحوة الجمر

شعر : نديم محمد

سكر الزهر في خيالي .. فلوحت الى النجم .. طائر الجنـاح
وحسبت الهوى رعـافة خمر .. مسحتها أنا ملي عن وشامي
سكرة الوهم ، كم أرفت على سفح . وأزهت خـدوده بالأقاح
كم ألانت أظفار شوكي – فلا وعيون الورد – ما ذكرت جراحي
ليتها سمرت على الليل اجفـاني .. واذبت اغفاءة في الصباح

* * *

هـذه الرعشة المسقاة بالآهات . من رشها دما في صداح
وبقايا الدموع .. أي له سكبتها يداه في اقداحي .. ؟
ينفس الجمر في ظـلال الرياض .. ويصحو على شهيق الرياح
اعرف الحب ، مشعل السهو في عيني .. بحر الأنين .. ساقي النواح
اعرف الحب ، فيه فكري وحسي وضياعي في غدوتي ورواحي
اعرف الحب نهشة السم في جرحي ودفق اللظى بمائي وراحي
اعرف الحب مطفيء اللهو في ملعب امس .. معذبي .. سفاحي
اعرف الحب الحب افعوان الدم الظامي ووحش القلوب والارواح
اعرف الحب ملهم الفن للنفس وموحي معـاجز الاتراح
اعرف الحب سر ضعفي واحناء جبيني ذلاً وخفض .. سلاحي

* * *

هو في عينك المنعشة الحوراء هـذا الخفاء في الالحـاح
هو في ثغرك المزرر بالشهوة هـذا اللمى النؤوم الصاح
هو حبي عرفته بشميم الحرق منه .. في البـارد الفواح
انا اسلمتـه الى غفوة الطفل . وضوأت حوله افراحي
مـاله كيف نفضت عينه النوم ورفت سحراً على مصباحي
لم جمر المـاضي وذراه في مسمر ابلي وفي دروب مراحي
عبر الامس بالشهاقات والآلام يهوي في موكب الاشبـاح
وفلول من الطيوف حواليه وانحي الاسـداق سود قباح
لهتها في الضلوع . عيظ البراكين وزخم الانواء في الارواح

* * *

ايها الفاتح المروي من الدمـع .. ويزهو بقسوة المجتاح
لك هذا الحطام في خربة الصدر وهذا الرماد في كل ساح
فيها قطرة السلافة .. في الكأس .. ودرب الحروف في سطر ماحي
حسبك اليوم ان تلم .. على مسكب فجرين .. ثمرتي تفاح
وعلى نهلين .. من لهب يسقي .. ويسقى من محضن رحراح
أو على مخمل تعرقه .. حمرة ومض .. من كوكب لماح

نظرة الى تراثنا

بقلم : الدكتور أحمد كمال زكي

لا أريد أن أطيل بعد ، فان الكتاب لم يتطوروا كثيراً بفنهم من حيث الصياغـة والبناء وتزيينه (١) .. وكانت الخطوة الكبيرة التي خطوها في ميدان التطور هي فيما عالجوه من موضوعات ، وفي هذه الناحية كنا نجد الكتاب يتعاونون على خلق نثر فكري رائع ، وعلى بسط آفاق الكتابة بحيث تلذ كما يلذ الشعر .

وعلى أساس النظرة التي أخـذت بها نفسي في تقويم المضمون الفني ، نستطيع أن نناقش الكتابة باعتبارها مثلت ماضياً وعبرة عن حاضر وصورت حاجة المستقبل ؛ فهي تعبير عما كان ، وهي تعبير عما هو كائن ، ثم عما سيكون :

غير أنه لايتاح لنا شيء مما نريد قبل أن نصدر قولنا بالشعوبية ، فلقد أصبحت الفكرية التي يصدر عنها كل فن من فنون الأدب تقريباً ، ولئن زعم زاعم أنها كانت في الشعر أقوى ، ففى النثر من آثارها مالا يمكن انكاره ، بل لعلها في الكتابة أعظم أثراً منها في أي قصيد !

ولقد ينبغي أن أقول ان الجاحظ في عرضـه القيم للعلماء الكتاب لحظ أن الشعوبية التي مثلها الفرس — في هذا العصر — كانت تعنى بتجويد مـادة كتابها وبحسن اخراجه (٢) وقد اضطرها ذلك — فيما أري — الى ان تحمل على كتابها الأولين ما لم يقولوه . وهذا مـا جعل الجاحظ يشك فيما في أيـدي الناس من كتابات منسوبة للفرس ، قال « ونحن لانستطيع أن نعلم أن الرسائل التي في أيدي الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة ، اذا كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون وأبي عبيد الله وعبد الحميد وغيلان وفلان وفلان لايستطيعون ن يولدوا مثل تلك الرسائل ويصيغو امثال تلك السير » (٣).

هذه مسلمة لاتقبل جدلا .. أفلم نر أن ما يثار حول « كليلة ودمنة » خير دليل على الحمل ، وأقوى شاهد على ان أصحاب الكتابة فى هذا العصر كانوا من الشعوبية ..

وأخرى أننا متى بحثنا عن اصل الكتاب ، وايننا الدم فارسياً والعقل خليطاً من فكريات مختلفة ، وحتى روادها خارج البصرة كانوا موالي ، كعبد الحميد وغيره !

ونصل الآن الى مانريد من حيث كانت الكتابة تصويراً للماضي فنلتقي بالقولة المشهورة التي تنسب لاحمد بن يحيى النحوي « من اراد اخبار الجـاهلية فعليه بكتب ابي عبيدة ، ومن اراد اخبار الاسلام فعليه بكتب المدائني » اي ابي الحسن ، فأما ابو عبيدة فهو اكبر من عمل على تدمير العرب في ظل الشعوبية ، وكان من عادته اذا راى للعرب فضيلة نسبها الى غيرهم . ونقدم الآن مايقوله عن الرقاشيين « وكان ابوهم خطيباً وكـذلك جدهم ، وكانوا خطباء الاكاسرة ؛ فلما سبوا وولد لهم الاولاد في الاسلام وفي جزيرة العرب ، نزعهم ذلك العرق فقاموا اهل هذه اللغة

---

(١) لخص الجاحظ مذهب كتاب هذا العصر بقوله . يحتاج الكاتب من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن ألفاظ السفلة والحشو ، ويحطه من غريب الاعراب ووحشي الكلام ، وليس له أن يهذبه جدا وينقحه ويصفيه ويروقه حتى لاينطق الا بلب اللب وباللفظ الذي قد حذف فضوله وأسقط زوائده (الحيوان ١ . ٩٠)

(٢) الحيوان . ٧

(٣) البيان والتبيين ٣ ١٦ ، وأبو عبيد الله هو معاوية بن عبيد الله بن يسار الكاتب الذي أصبح وزيراً للمهدي سنة ١٥٩ للهجرة واما غيلان فهو ابن مروان الدمشقي ، وكان مرجئا وقيل بل كان ن اوائل القدرية وقد قتله هشام ، وسجلت له فصول من كلامه في عيون الاخبار .

كمقامهم في اهل تلك اللغة وفيهم شعر وخطب . وما زالوا كذلك حتى اصهر الغرباء اليهم ،ففسد ذلك العرق ، ودخله الخور » (١) .

وفي خالد القسري (٢) يقول « بلغ خالد بن عبدالله القسري ان الناس يرمونه بالبخل على الطعام فتكلم يوماً ، فما زال يدخل كلاماً في كلام حتى ادخل الاعتذار من ذلك في عرض كلامه ، فكان مما احتج به في شدة رؤية لا كيل عليه وفي نفوره منه ان قال : نظر خالد المهزول في الجاهلية يوماً الى ناس يأكلون والى ابل تجتر ، فقال لاصحابه : أتروني بمثل هذه العين التي ارى الناس والابل قالوا : نعم ! فحلف بالهه الا يأكل بقلاً وان مات هزلاً فكان يغتذي اللبن ويصيب من الشراب ، فأضمره ذلك وايبسه ، فلما دق جسمه واشتد هزاله سمي المهزول ! ثم قال خالد : هانذا مبتلى بالمضغ ، ومحمول على تحريك اللحيين ومضطر الى مناسبة البهائم ومحتمل ما في ذلك من السخف والعجز ، ما بالى احتملته فيمن لي منه بد ولى عنه مذهب ليأكل كل امرىء في منزله ، وفي موضع امنه وانسه ، ودون ستره وبابه » (٢) .

وهكذا يقدم ابو عبيدة صورة مشوهة عن الماضي لاتقل شراً عن الصورة التي رسمها للصوص العرب . واذا كان هذا العالم قد اتبع في كتابه عن اللصوص اسلوب الاخباريين ، فليس شك في انه – وقد كان يبغي به الاستهواء – صاغه صياغة جيدة ، واظن ان الجاحظ حين عرض التلصص انما اراد ان يقدم من غير العرب اشقياء يسطون ؛ فيرد بذلك عملياً على كاتب شعوبي (٣) .

وكان حديث البخل قد انتشر في هذا العصر ، فأدلى ابو عبيدة – كما راينا – بدلوه فيه ،وكشف عن صفحات سود لماضي العرب ،واشترك معه فيه ابو الحسن المدائني ، بل اشترك الاصمعي ايضا . واذا الجاحظ يجد فيما يروونه مادة لكتابه القيم ، ويقول عن هؤلاء العلماء « فاما احاديث الاصمعي وابي عبيدة وابي الحسن فاني لم اجد فيها مايصلح لهذا الموضع ، الا ما قد كتبته في هذا الكتاب ، وهي بضعة عشر حديثا » (٤) وساق احاديث عن غابر العرب وشنع – وهو لا يدري او يدري – على رجال الامويين بخاصة ، فيروي عنهم انهم قالوا ولم يجد ايا من العلماء الثلاثة صاحب الرواية « قالوا : كان بلال بن ابي بردة(٥) قد خاف الجذام ، فوصفوا له الاستنقاع في السمن ، فكان اذا فرغ من الجلوس فيه امر ببيعه ، فاجتنب الناس في تلك السنة اكل السمن . وكان يفطر الناس في شهر رمضان فكانوا حلقا وتوضع لهم الموائد ، فاذا اقام المؤذن نهض بلال الى الصلاة ، ويستحي الآخرون ، فاذا قاموا الى الصلاة جاء الخبازون فرفعوا الطعام »(٦) .

ونقل طه الحاجري عن مخطوطة للآبي في استنبول رواية رهيبة ذكرها المدائني عن سليمان بن عبد الملك ، خلاصتها ان هذا الخليفة التهم اربعين دجاجة سوى صنوف اخرى اكلها (٧) ، كما نقل ان له كتاباً في اياس فقيه البصرة الذكي الذى مات سنة ١٢٣ للهجرة (٨) .

فاذا تركنا هؤلاء الى ابن المقفع وجدناه يحتال احتيالا آخر ليبعث مجد الفرس ، واذا هو في « الادب الكبير » مثلا وقد عقد بابه الاول في علاقة المحكوم بالحاكم يبعث مجد الملوك الفرس بقوتهم وظلمهم ! وفي كليلة ودمنة يجعل باب برزويه ، ، رأس اطباء فارس الذي تولى – فيما يقول ابن المقفع – نقل الكتاب من الهندية الى الفارسية ،عرضا رائعاً لحياة فيها ايمان وفيها ثقة بالفضيلة ما كان فيها خير ومحبة . . بل فيها ايمان بالآخرة ، وتلك قيم حرص على ان يؤكده

---

(١) البيان والتبيين ١ . ٣ . ٢ .

(٢) كان احد البصريين السادة وولي العراق في عهد هشام عام ١٠٦ مدة اربع عشرة سنة وحارب الشعوبية فنفست عليه

(٣) البخلاء ٥٨

(٤) راجع الحيوان ١ :٣ ،١٥٥٢ ،١٥٦ ،٣٦٦

(٤) البخلاء ١٣٥

(٥) هو احد الامراء الذين تولوا البصرة وقضاءها ايام خالد القسري ، وظل اميراً حتى سنة ١٢٥ ، وجده ابو موسى الاشعري .

(٦) البخلاء ١٣٧ ، ١٣٨

(٨) مقدمة البخلاء لطه الحاجوي ٢٠

(٨) البخلاء ٣٦٢

الاسلام ومعنى ذلك ان برزويه - وكان ابن مقاتل فارسي، وسيدة من بنات الزمازمة - ليس من امة لا تعرف الا الشرف المادي على نحو ما يقرر العرب بل كان فيها خير يعدل ذلك الخير الذي فتح به هؤلاء العرب الأمصار.

ان ماضي الفرس ليس شراً .. وهي اذا كانت تتيه بحضارتها الغابرة فليس معنى تيهها به قصورها عن الفضائل الخلقية، فلا خير اذن في الاسلام!

هذه هي الفلسفة التي صدر عنها ابن المقفع، وان يكن لم يصرح بها، على ان اتجاهه المجتمعي كان يؤكدها، وكان يرمي من ورائها الى هدم الدين الذي فتحت باسمه بلده، وما اظن ترجمته لكتب ماني وابن ديصان ومرقيون ومزدك - وهم فرس على ما رأينا - لا تعفيه من هذه التهمة بل تثبتها رواية للباقلاني تقول انه حاول معارضة القرآن (١)

فاذا انتقلنا الى سهل بن هارون، وجدنا الرجل في اصطناعه حكمة الفرس يمجد الفرس - وكان سمي بزرجمهر الاسلام - واكتفى بأن طبل المأمون حتى كان كل صدوره تملقا، والغريب انه تجرد في الانتصار للبخل كما انتصر له عبد الرحمن الثوري - الثري البصري الكبير - وكانت الشعوبية تمتدح البخل احيانا للحط من وجود العرب الذي عدته هوسا، والا فهو اسطورة كاذبـــة حين تثبت للعرب عكسة!

ونظرة عميقة في الرسالة التي بعث بها الى بني عمه من آل زياد حين ذموا اتجاهه الاقتصادي المقتر، تكشف عن غمزات شتى الى الاولين، كاشارته الى انه انما نادى به الحسن البصري من ضرورة الاقتصاد، والى انه لم يخرج عن مسلك بعض الائمة السابقين الذي يختمون السل على اليسير وهو لا يختم الا على الكثير .. بل يجرؤ فيقول انه حين يطلب الى خادمه ان يزيد المرق، لا يخرج عن قوله صلى الله عليه وسلم، اذا طبختم لحما فزيدوا في الماء، فان لم يصب احدكم لحما اصاب مرقا! وقد كان عمرو بن العاص - كما يقول - يعمل عمل من يعيش ابداً، وابن سيرين يدعو الى الاكثار من المال باستثماره، والحصين بن المنذر يكنز الذهب ليشرف،

وهشام بن عبد الملك يقول: ضع الدرهم على الدرهم يكون مالاً! وتلقط ابو الدرداء الصحابي حبات حنطة فنهاه مسرف فقال له: ايها ابن العبسية ان من فقه المرء رفقه في معيشته (١).

بهذا الاسلوب الساخر يرسم سهل صوراً للعرب يراها الرائي لاول وهلة كبيرة فان تعمقها تبين ماتنم عنه من تسفيه لحياة لم تعرف نعمة العطاء الثر ولم تكن كحياة الفرس التي قامت على الغنى الواسع.

كل هذا واضح في الخط الاول: فان عدوناه الى الثاني الذي تبدو فيه الكتابة تصوراً لما هو كائن، لانعدم الاثار التي تكشف عن حياة مضطربة وعن حضارة هي مزاج من معطيات الفرس والروم والنبط والعرب.

ومرة اخري نلجأ الى ابن المقفع، وفي هذه الحال تجابهنا رسالة الصحابة المشهورة وكانت رصداً لكل ما اعترى العصر من بلبلة وتعتبر في الوقت نفسه صرخة شـــعوبية ودعوة الى مجتمع افضل .. الى يطوبيا يكون للعجم فيها حظ موفر، والا فبم نفسر دعوته الى المنصور الى اتخاذ اهل خراسان وحدهم سندا «فانهم جند لم يدرك مثلهم في الاسلام، وفيهم منعة بها يتم فضلهم ان شاء الله»

ونتبين سياسة الشعوبية التي قامت على التوسل بالرفق والمهالاة في اول الامر في قوله «وفي الذي قد عرفنا من طريقه امير المؤمنين ما يشجع ذا الرأي على مبادرته بالخير فيما ظن انه لم يبلغه اياه غيره، وبالتذكير بما قد انتهى اليه. ولا يزيد صاحب الرأي ان يكون مخبرا او مذكرا، وكل عند امير المؤمنين مقبول ان شاء الله مع ان مما يزيد ذوي الالباب نشاطاً الى اعمال الرأي فيما يصلح الله به الامة في يومها او غابر دهرها، الذي اصبحوا قد طعموا فيه. ولعل ذلك ان يكون على يدي امير المؤمنين» (٢).

ثم نتبين تبرم هذه الشعوبية بالاوضاع التي كانت قائمة وقد اتخذ ابن المقفع القول بالرأي نقطة البدء لتفسير فوضى

---

(١) اعجاز القرآن ٤٦، ٤٧ (ط. دار المعارف سنة ١٩٥٤ تحقيق السيد صقر في سلسلة ذخائر العرب -

(٢) رسائل البلغاء ٢٠ وما بعدها

الفتيا والحكم في البصرة والكوفه وغيرهما .. نتبين ذلك في السطور التي قرأناها له وكان أولها « ومما ينظر أمير المؤمنين فيه من أمر هذين المصرين .. ».(١)

ولعل هذا ما كان يدفع به دائماً الى ان يقول بعدم كفاءة القائمين على الحكم . ومن ثم قرر في كتابه « الأدب الكبير » ان على الوالي ان يبحث عن دواء لهذه الادواء التي استشرى شرها ، ولا سيما فيما يمس الاحرار .. والاحرار عندهم الفرس الاشراف الذين رأينا بشاراً يشير اليهم في قوله :

تفاخر يابن راعية وراع بنى الاحرار حسبك من خسار

قال ابن المقفع « ليتفقد الوالي فيما يتفقد من أمور الرعية ، فاقة الاحرار منهم فليعمل على سدها ، وطغيان السفلة منهم فليقمعه » (٢) .

ومن هذه العبارة الموجزه نرى اشارات الى الطبقية التي عرفها العصر ، والى توزع القطاع السكاني الواحد بين درجات . ولقد نبه الى شر العاملين في المهن الصغرى ، والهاربين في البطائح عندما دعا الى ضروره الاخذ بيد احرار الشعوبية !

واما كتابه « كليلة ودمنه » فنقد سافر لعلاقة الراعي بالرعية ، وهو دعوة صريحة لهدم النظام الذي أقامه العباسيون على أسس من الجبر والتعنت . ومعنى ذلك انه نستطيع ان نتخذه ذريعة لتحقيق الايطوبيا التي تحكم بها الاحرار في آزاد مرديتهم ، ومعناه ايضاً ان السلطان نفسه يجهل كثيراً من آداب الملوك ، تماماً كما يجهل القوم حقوقهم ؛ ففي باب الاسد والثور بقوله « وكان هذا الاسد منفرداً برأيه دون اخذه برأي احد من اصحابه ، فلما سمع حوار الثور - ولم يكن رأى ثوراً قط ولا سمع حواره - خامره منه هيبه وخشية ، وكره ان يشعر بذلك جنده . فكان مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط ، بل يؤتي برزقه كل يوم على يد جنده ..

« وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى يقال لاحدهما كليلة، ، الاخير دمنة ، وكانا ذوي دهاء وعلم وأدب . فقال دمنة لاخيه كليلة : يا أخي ما شأن الاسد مقيما لا يبرح ولا ينشط ؟ قال له كليلة : ماشأنك انت والمسألة عن هذا؟ نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب وتاركين ما يكره ، ولسنا من اهل المرتبة التي يتناول اهلها كلام الملوك والنظر في امورهم ! فأمسك عن هذا واعلم انه من تكلف من القول والفعل ماليس من شأنه اصابه ما اصاب القرد من النجار » (٣) .

والرمز في القصة لاتخفى دلالته ؛ فالاسد هو الخليفة والاسد يجهل كثيراً من الامور العادية جدا لسكان الغابة كالخليفة الذى يجهل دقائق شئون الرعية ، وبعيدا عن الاسد اقصى كليلة ودمنة مع انهما ذوادهاء وعلم وادب ، فصارا في الحال التي كان فيها الاحرار ، فاذا رغب دمنة الى اخيه في ان يكشف للاسد عن الحقيقة لتحرك ، يؤثر كليلة السلامة ويسأله ان يكف !

وبعد حوار عميق بين الاخوين عن المنازل والاقدار ، وعن الظروف التي ترفع وتخفض ، وعن الدهاء الذي ينبغي ان يتسلح به المرء ليصل الى اولي الشأن ، وعن اختيار الوقت المناسب للسير في طريق الملوك ، ينتهي الامر بان ينجح دمنة في اقناع اخيه وفي الوصول الى الخليفة الذي يجعب به ويخلص له (٤) .

ويطول بنا الامر لو ذهبنا نناقش الكتاب على هذا النحو ؛ فهو أوضح من ان ادلل به على ما اقول .. من حيث انه كتاب في تصوير واقع فاسد ، وفي دعوة الى مجتمع افضل .

فماذا عن سهل بن هارون بعد ذلك ؟

عم تنم كتابته في عرض ما هو كائن وعما ينبغي ان يكون ؟ لقد قلت سلفاً انه كان كمن يقول بالتقية .. لايجاهر بعداء ، ولا ينادي بثورة ، وكأنما التمس الروح في مدافعة مشاعره الشعوبية بالروغان والتزاهد فيها ؛ فتعهد ان يكون كما كان دمنة .. صابراً اول الامر ، ثم عاملا اذا حانت الفرصة ليصل ، وقد وصل !

---

(١) انظر صفحة ٢٧٨ من هذا الكتاب

(٢) رسائل البلغاء ٦٦

(٣) كليلة ودمنة ٩٩ ، ١٠٠

(٤) كليلة ودمنة ١٠٧

«قصة لحن قديم»

شعر

رأيت يوما هزارا   يمتص عطر الزهور

ويرتمي في ذهول   على ضفاف الغدير

يذيب فيه بقايا   خميرة من عطور

من ياسمين ومن   نرجس ومن منثور

تجمعت في الحنايا   خلاصة من عبير

وصبها فاذا الماء   بركة من خمور !

يعب منها فيندى   فم الشعاع المنير

وتنتشي من سلاف الشذي   رئات الاثير

حتى اذا ثار فيه   توهج بالشعور

وثار نضو شجون   وماج كالسكير ،

هز الغصون فغنى   الحفيف لحن الحبور

وحرك الماء فانساب   صادحاً بالخرير

وهبت الطير تشدو   بكل لحن مثير ...

وبينما انا في شبه   غفوة الخمور

رنت باذني انغام   معبد مسحور !

انغام فيها نجاح   لذي ضنى مصدور

انغام فيها سلام   لخافق مذعور !

الدكتور ـ محمد الرفاعي

شعر ..

أحمد علي حسن

الطيب السجين

ايها الطيب ، ياسجين القوار ير ، تنهد على فراق الزهور
كنت في الزهر ، للفراشات في الحقل ، واصبحت للشباب الطرير
كنت مجلى العيون رفة الفجر ، ومجلى قلوبنا في الصدور
تغرق العين فيك ولهى ، ولا تشرب الا مجاجة من عبير
حجبوا عنك سورة النور واختارو الك يافاتني حياة الاسير
وتغربت في الخدور ، رفيقاً تك يا ابن الشذى ذوات الخدور
للحرير الانيق رياك ياطيب ، كأن لم تكن لغير الحرير
وانتهى فيك كل حسن ندي للغرانيق ، بين حو وحود
وغفت عنك حالمات العشايا غفوة الليل دون صحو البكور

يا اسير الزجاج ، كرم فيك الله قارورة الزجاج الحقير
لم تردك الحياة يامارد القمقم عن زهوها حبيس العطور
وارادتك موجة من ورود تغمر الحقل تحت موجة نور
لم يفق فيك ناخر الزهو في الغابة في الحقل في مصب الغدير
ولقد ضقت بالحجاب ، وما كنت لغير السفور يا ابن السفور
انت ان : تملأ الحياة جدير وبما دون ذاك غير جدير
فأعط من زهرك الحنون لا لهامي ، ومن طيب الشذى لشعوري
فلعيني من الهوى ما لقلبي من مزاياك في الجمال النضير

احمد علي حسن

الغرفة السوداء !!

مهداة الى العمال العرب ذكرى
ايام العذاب التي انتهت

قصة : علي بدور

لي صديق من العمال اسمه سعيد . كل يوم أقصده لاملاء العين من رجولته وصفاء نفسه . وكل يوم وأنا عائد من لدنه الى المنزل اتمثل في خاطري ايام الماضي التعس ،يوم جمعتني ظروف العمل منذ عدة سنوات باثنين من الزملاء في غرفة للنوم تشبه الاسطبل ، لم يكن فيها نافذة حتى ولا طاقة .. وكان بابها ضيقا قصيرا ذا شقوق عديدة ، وكان سقفها اسود ،وكنا نزيده سوادا بما نشعله كل يوم من نار.. كان دخانها يتخمر يوما بعد يوم . وكنا نعيش بالرغم من ذلك

كان سعيد شابا في الخامسة والعشرين من عمره ، ذا صحة جيدة وعضل مفتول ،ووجه يفيض حيوية وانطلاقا وكان يزين فمه بابتسامة دائمة . اما خالد فكان قصيرا نحيفا كأنه طفل ، قد تخطى الثلاثين ان لم يكن زاد عليها كثيرا ، دائم الكآبة والقنوط ، قليل الصبر على قسوة الحياة ، مفرطا في النقمة . نقادة لاذعا في نقده وكان يخيل الى ان في صدره عدا الشواظ ثلجا يلجأ اليه كلما احس ان اعصابه توشك ان تنفجر .

كنا نشتغل اثنتى عشرة ساعة . انا في محل لصبغ الاحذية وسعيد وخالد في معمل الزجاج ..ولم نكن نلتقي الا في اول الليل .. وكنت كثيرا ما اسبقهما فاعد لهما العشاء وكان ذلك يسرهما ويدعهما ينسيان اتعابهما وكل شقائهما .

كان خالد اذ انهى قدح الشاي اتكأ الى مخدة حشوها تبن واشعل لفافة رديئة الصنف واخذ يحدثنا عن قريته التي هجرها طردا شريدا ولم يترك فيها احدا . لقد مات ابوه منذ زمن بعيد بوباء الجدري ، مات دون ان يسأل عنه احد ، وماتت امه في الكوليرا ، بعد ان سرق مالك القرية كل الامصال .. وباعها من زملائه المالكين وترك نصف سكان قريته يموتون .. بينما هو احيا خزانته .. ذهبا .. وكان خالد يبصق بصقتين في طاس سوداء موزعا بصقتيه بين سيده القديم وبين الدخان الذي يشربه وهو مملؤ بالعيدان .. معتقد انه لايصلح حتى للحمير .. بالرغم من ان الحمير لاتشرب دخانا قط .

كان حديث خالد يطول حتى آخر الليل . وهو لا يفتأ يبدي ويعيد فيه عن امه وابيه وقريته التي هجرها وسارق امصال الكوليرا والدخان الرديء الذي لايصلح للحمير . كان قلبه مملوءا ولكن راسه كان فارغا . اما سعيد فكان على النقيض . كان يضحك بل ويداوي آلامه بالضحك . وكان يعتقد انه يجب تسجيل هذا الاكتشاف لدى الدولة .. كان يجوع في بعض الايام وقد يبرد في الشتاء وتقسو عليه الحياة قسوة لا حد لها .. ولكنه كان يبتسم وينزه نفسه عن الحقد الاعمى ، ويفتح قلبه للحقد البصير الذي يفهمه وسائل اساسية من وسائل النضال العنيف . وكان سعيد يجادل في نقطة واحدة . ولكن خالد لايستمع اليه .. لانه لايريد ان يعتقد ان الانسان اذا اراد ان يكون رحيما وطيبا ايضا ، ومحبا للبشر اجمعين ، يجب عليه ان يكون متعلما !! ان خالد يحفظ عن ظهر قلب آلاف الاقاصيص عن رجال ونساء مجهولين انفقوا ثرواتهم في سبيل الصالح العام وبنوا للناس اكثر من امل وحققوا اكثر من معجزة ، ومن دون ان يتعلموا او يكتبوا . ان قلب

الانسان اذا كان نظيفا .. فانه يحقق المعجزات بهذه النظافة. ولكن سعيد كان دائم الضحك من خالد .. كان يقول له فيما كان يقوله :

ان الزمان قد تغير يا اخي . وكذلك الانسان .. لم يعد يعيش كما كان الاولون يعيشون ، بعد ان تبدلت السنن والمناهج والعقول والقلوب ، وبعد ان كثر الطمع والجشع .. وخفت السراج الذي كان يضيء للناس طريقهم بالايمان .. ورجع الناس جبابرة ، وطغاة لا يرحمونك اذ لم يرهبوك . ولا يطيعونك اذا وثقوا انك لن تفتك بهم . والا فما هذا الاسطبل الذي ننام فيه ؟ وما هذه الحياة التي نحياها .. اننا وصمة عار في جبين الانسانية كلها .. تصور كيف يخرج بفضلنا مئات الاقداح الشفافة دون ان نستطيع الاستعانة باحدها لنشرب به .. ان لم يكن ماء .. فدواء اذا مرضنا . ان العلم ياخالد .. ياخي ، يكشف للناس آفاقا ، بعيدة ويدعهم يشتركون في كل شيء ، في الاتفاق على الاسس القوية التي سيبنى عليها مستقبل امتنا وكذلك على معالجة الحاضر ومحو سيئات الماضي .. والاطلاع على اخبار الناس في اصقاع الارض قاطبة .

كان خالد يضحك كثيرا كلما حدثه سعيد عن هذه القصة ، لانه لا يعتقد ان الناس يثورون مطالبين برفع مستوى المعيشة .. لانه سمع ذات يوم قصة البلد الذي يحرق بعض موسمه للابقاء على الاسعار مرتفعة . وكان سعيد يمسك خالد من ثيابه ويهزه سائلا :

اتوافق ان يحرق نصف الموسم في اي مكان بالعالم ليبقى ملايين الناس ينامون على فراش من التبن وياكلون خبزهم اسود .. ممزوجا بكل ما يخطر على بال بعض الفرانين الشطار ؟!

وكانت مثل هذه الاحاديث تمتد حتى آخر الليل . وكان يتخللها المزاح والنكات واحيانا احاديث هي اشبه بالدموع .. عن اولئك الاصحاب الذين نعرفهم: ينامون جياعا ويفيقون جياعاً ، ويمسون على كسرات يابسة سوداء !

كنا اذا نمنا مددنا بساطا عتيقا على ارض رطبة ، وافردنا المخدات جنبا الى جنب واتخذنا عدة اكياس غطاء، وتعالي .. ايتها الاحلام العذبة بين فراش من ريش النعام، وغطاء سداه من خيوط الذهب !!

كنا نقنع بهذه الحياة التي نحياها . الغرفة التي ليس فيها ولا طاقة والعمل المرهق المحطم للاعصاب .. ووسائل للحياة اقل من دنيا .. ولكننا كنا لا نقنع بشيء واحد ونسعى دائما لان نزيده .. ذلك هو المحبة بين بعضنا ، كنا نخشى ان يتسرب الى قلوبنا البغض والحقد والخوف . فينهار هذا الجدار المتماسك الذي يريد ان يتحدى الاعاصير ويهزأ بالقضاء والقدر .. اننا بحاجة الى المزيد من الحب لنرتفع به عن واقع مكروه ومجتمع مريض ، وامة تغفو على بركان من الثورة والبناء يوشك ان ينفجر .

كنت اصحو في الليل على اصوات خالد المزعجة .. انه يحلم دائما وياتيه كابوس ثقيل فيصرخ بكلمات لا ترابط بينها : كوليرا .. جدري .. ذهب ، فاوقظه بسرعة .. وكم اردت انني لو لم افعل ذلك ابدا ، لانه بعد ان يستيقظ ويصحو ، ياخذ بالبكاء ويدس راسه في حضني كطفل صغير القاه اهله في زاوية مهملة ، وتلذعني كما تلذع سعيد هذه الدموع الحارة المخلصة البريئة ، فنحترق دون ان نشعر ، ونواسيه ونحن في الحقيقة نواسي انفسنا . ولعل خالد كان يعلم ذلك كله ، ويعلم اكثر فاكثر انني وسعيد ، مثله ، غريبان مبعدان عن الاهل والاخوان ، لم يبق لنا معين من اب او ام .. ولا قطعة ارض تكفينا مشقة البحث عن قبر مريح اذا متنا ذات يوم ، من البرد او الجوع .

لم يمض اسبوع على ذلك .. الا وكنت عاطلا عن العمل ، اثر مشاجرة مع احد زبائن المحل . كنت منهمكا في صبغ حذائه وتلميعه بهمة واتقان . وكان يتحدث هو وصديق له ، جلس الى جانبه ، عن بعض العمال الذين يودون الاضراب اذا لم تزدد اجورهم . وغاظتني منه كلمة نابية وصف بها المضربين فقلت له :

سيدي الا يفهم صديقك الخبر الا اذا وصفت اخواننا بما وصفت ؟!!

فهم بي يريد ان يضربني فلم يصل الي لان المعلم قد سبقه وقال لي في حدة :

ـ خذ اجرتك وانصرف .. فاذا تعلمت الادب عد !

كان مساء ذلك اليوم حزينا كئيباً ، مثل آلاف المساكين الحزانى اولئك المتعبين بالموت . وكانت همومي تزداد وتفاؤلي من المستقبل يتناقص، حتى جالت في خاطري المتعب صورة مجسمة لحياتنافي وجود ظالم ظلوم .. وكيف تتطلب الحياة منا ان تثبت ونثبت .. دون انهزام قط . وكان يخيل الي ان سعيد وخالد يجتازان اليوم خطراً ما دام لسعيد الباع الطولى في ذلك الاضراب ، وما خالد الا اداة طيعة في اليد الاخيرة ، يد سعيد . وعندما عـــاد سعيد وخالد مساء وجداني جالساً افكر باشياء خيل الي انهما فهماها جملة ولم يفهماها تفصيلا .. وبينما كنا نتناول العشـــاء سألني سعيد .

ـ الم تصلك اخبارنا ؟

ـ بلى !

ـ وما بالك اليوم قنوطا اذن .. الا تريد ان تنال زيادة في الاجور .. فنفتح في الجدار طاقة على السماء .. علنا نرى ؟

فقصصت عليهما قصتي باختصار .. واختلطت قصتي هذه بحديث خالد عن بطولة سعيد هذا اليوم .. تلك البطولة التي ابداها في حثه زملائه اعضاء النقابة ، لتشكيل وفـد يقابل صاحب العمل ويطرح الطلبات العادلة بادب جم تحت شعار تعاون ورأس المال في خدمة الاقتصاد القومي .. ولكن سعيد قال مستدركا :

ـ حدثه عن النهاية افضل .. الاشياء بنهاياتها ياخالد .

ولكن خالد ظل ساكتا وكان يخفي وجهه بقشرة من الخوف رقيقة لعله الخوف من الغد ،فحدقت في وجه سعيد استطلعه اليقين فقال بهدوء مدهش وبساطة كانه يلقي سطل ماء في ارض مائلة .

ـ انا وخالد . مفصولان من العمل .. اعتبارا من اليوم . هذه هي القضية باختصار !فاجبته وانا اضحك بشدة :

ـ سعيد وانا كذلك .. لقد علمتما قبل بضع دقائق قصة الشجار . لقد جاء الطرد في اعقابه ان كلمة حمير كانت مثل حبل المشنقه . اتريدون في ان اشنق راضياً ؟

انتابتنا نحن الثلاثة نوبة حادة من الضحك الحـــاد . وخشيت ان ينتهي بنا الضحك الى الجنون . اجرة الغرفـة يجب ان تدفع . وهي مهما تكن تافهة الا انها تبدو باهظة بالقياس لغلة ثلاثة شبان عاطلين مفلسين . ومعدنا هذه تريد تملأ في اليوم ثلاث مرات .. او في الايام الثلاثـــة مرة واحـــدة . ولا مناص من ذلك ، فمعدنا معنا انا ذهبنا ، وليس من الجوع مهرب . وهذه الارض التي تبرد قشرتها كلما احكم الشتاء طوقه من حولنا . والنار مفضلة في مثل هذه الغرفة الرطبة .. المستنقع !!

تحدثنا في ذلك كله . ومد سعيد يده الى جيبه وهو يبتسم . ان فيه ماتبقى من اجرة الاسبوع ونحن في منتصف اسبوع جديد . وتبعه خالد بمحاولة ، وخيبة الجيب الذي لا قعر له . وحدق كلاهما في بعيون مفتحه حتى النهاية . ولكن مهما حاولا التأثير في .. فان الذي معي لم يكن يزيد عما في جيبيهما قرشاً واحدا !

كانت السماء تبدو سوداء لا يتسع وجهها لشعاع شمس او قمر ، كي يتسرب الى هذا الكون الكبير الذي غمره الظلم والحقد . وكان عالمنا نحن الثلاثة لا يتعدى حدود هذه الغرفه السوداء وقلوبنا التي كاد يقتلها الالم ، لا تزال على الرغم من ذلك حية ، نقية ، بيضاء ، تمدنا بالحساسية لنبحث من جديد ولا نيأس من الانسان كمخلوق عاقل يفكر ، وبالانسانية التي خصتنا بقسط ضئيل من الحنان الذي يغطي كل هاتيك الجلابيب التي كان يلقيها علينا المجتمع الغارق في الظلمة والجهل !!

في النهار كنا نشق المدينة طولا وعرضا ، من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب ثم نعاود الكرة في اليوم الثاني مارين بالمعامل ، عارضين خدمتنا على الشركات الكبرى ، سائلين أصحاب الحوانيت استخدامنـا بالاجر الذي يقيم الاود . وكان الرفض دائما جواب الجميع . كان

اصحاب المعامل اذا قبلوا استخدام بعضنا طلبوا اسماءنا .. فاذا عرفوا – وكانوا يعرفون دائما – ان سعيد وخالد من ابطال اضراب معمل الزجاج الاخير اسرعوا ليسدوا هذه الطاقة التي كانت تنقل الريح المسمومة للفئات العاملة .. وكان سعيد اشبه بجرثوم تحشد له دوائر الصحة كل جهودها لتقتله في مهده مانعة اياه من الانتشار الذي كان يشبه تمدد نقطة الزيت على سطح بركة ماء هادئة !!

كنا نعود مساء منهوكي ، القوي ، مقرورين جائعين. وكان دفئنا وطعامنا واملنا في الحياة الكريمة انما كنا نستمدها انا وخالد من بسمة سعيد .. ومن احاديث عن الحياة التي نعمل لها تلك الحياة القائمة على التعاون والحب والتضامن بين فئات المجتمع لخلق مجتمع جديد .

وكنا كثيراً ما نفكر في هؤلاء الذين جمعتهم المصلحة المشتركة على صعيد واحد . وكيف يزيدون اتحادهم قوة يوما بعد يوم ، بتكتلهم فيما بينهم ، تجاه اي خطر قد يأتيهم . بينما هناك كثيرون قد استسلموا لليأس والانهزامية بصورة افسحت المجال لان يبقى شابان او ثلاثة بلا عمل ، وبلا طعام ، تحت اقدام غليظة تسحق ارواحهم وتعتصر افكارهم في ان تكون حياتنا الجديدة ، متفقة وعقلية امة تنشد لنفسها الحرية والقوة .

* * *

ذات يوم لقيني احد الوجهاء وكان يعرفني حين كنت اشتغل في صبغ الاحذية . ولا ادري الآن ماهي المناسبة التي حصلت حتى ناداني ملقيا علي سؤاله الموجز :

– لماذا تركت العمل عند صاحبنا ياحسين :

فاجبته بعبارة مبهمة ، فهم منها ان الظروف اسهمت في تركي العمل . فعاودني وعلى وجهه غبطة :

– اذن انت متعطل حتى الآن . الا تشتغل عملا بسيطاً . لقد مات ابو فاضل . وعليك ان تحل محله . كان يأخذ ولدي الى المدرسة ، ويعود به مساء . ويشترى بعض لوازم المطبخ من السوق .. اوافق انت ياحسين ؟

وكان ان وافقت . انه هذا العمل افضل من البطالة انني عنا استطيع ان اتناول طعامي بوجباته الثلاث في مطبخ سيدي الجديد . وكانت الليرة الوحيدة اجرتي اليومية ، اوديها لاخوي سعيد وخالد اللذين مابرحا متعطلين .. خائبين ، يذوبان شيئاً فشيئاً . كأن عاصفة ظالمة تحيط بهما من الجهات الاربع .

كانت الخادمة تعرض على بعض الاحيان ان احمل لزميلي بعض الطعام الذي كان يفضل فيلقى الى الشارع كل يوم . كانت المسكينة في حدود الخامسة والعشرين ومازلت عزباء . ومن يتزوج الخادمات غير الخدام . انها ارادت ان تشتريني زوجاً طيعا بما كانت تعرضه علي من مهر .. هو ببساطة متناهية هذه الوجبات التي كانت تلح علي لان احملها ليلا الى الغرفة السوداء ، حيث يتمدد على الارض الرطبة بطلان منسيان يموتان ببطء دون ان يشعر بموتهما احد . ولكني كنت ارفض ، الا انني في البداية كنت مستعداً للتفاهم . ولكن سعيد حال درن ذلك ، وبكلمة واحدة قطع على كل الطرق . كان سعيد يعتقد ان تناول الطعام في بيت السيد الجديد لي تصرف لا غبار عليه . كان يقول لي: انك تشتغل عندهم وتحضر مواد الطعام من السوق . ويعطونك اجرة رمزية . ولكن ما دخلنا في ذلك . واما الليرة التي تؤديها لنا لنعيش ، فهي منك ولانك تتصرف في شيء يخصك ونحن نقبلها منك لانك تشعر بالسعادة ان تفعل ذلك من اجلنا !

كان هذا الخلق في سعيد يثير اعجابي . وكنت اعتقد ان هذا الشاب لو مات الساعة فانه سيموت بطلا . ان البطولة الحقة ، ان نحمي كرامتنا كبشر .. ولو كلفنا من اجل ذلك الحياة كلها . انه كان يقبل من صديق له مبلغا تافها ولكنه الى جانب ذلك كان يرفض طعاما فاخرا يرد اليه من مطبخ انسان لا يعرفه ، وليس بينهما اية علاقة!

كان ابن الوجيه مخلوقا فريدا . انه لم يتخط العاشرة . ولكنه يحمل تفكيرا معوجا وعاطفة سوداء كانت تكفي لاحراق شعب باكمله لو الهبت في الطريق حين كنت اذهب به الى المدرسة ، كان الفقراء يمدون ايديهم له . وكان جيبه

عامرا . وكان يستطيع ان يستغني عن بعض مافيه دون ان يتأثر بذلك ولكنه كان يرفض .. بل ويرفض بشدة ، فاذا سألته عن سبب ذلك اجابني بحدة :

— انهم كذابون ، لم لا يشتغلون . ثم هل تريدني ان اعصي ماما . انك ياحسين مثل العم ابي فاضل .. تريدون ان تصلحوا امراض الناس كلها بقروشي القليلة ؟!

كنت مقتنعا بصورة مبدئية مع هذا الصغير بأن امراض الناس ومشكلاتهم المتأزمة لا تحل عن طريق الصدقات : هذه الوصفة التي ظل الناس يتعاطونها طويل زمن . ولكن الذي لم اقتنع به هو تربية هذا الفتى الغر على مثل هذه القسوة التي تلازمه منذ بداية تفتحه على الدنيا الواسعة وهموم سكانها اجمعين . اذ ان تدريبه على الشعور بالرحمة والعطف تجاه الضعفاء والمساكين يتيح له في المستقبل بان يفكر بهم على مدى اوسع وبنظرة اعمق من النظرة التقليدية التي تتصدى لمشكلاتهم دون ان تجرأ على خطوة حاسمة مفيدة !!

كانت امه توصيه بمثل هذا الخلق المستقيم ، لئلا يحيد عنه وتسقيه البغض لبني قومه وهو لا يزال صغيرا . فكيف به اذا شب وتقدم الصفوف بحكم مركز عائلته وغناها وصار زعيما كما هي العادة ، ترى حينذاك سيستطيع ان يجمع في قلبه الحقود المظلم كل شكاوي هؤلاء التعساء وكل قضاياهم الكبرى المتأزمة ؟ ! وكنت اتشوق لرؤية هذه الأم التي تحاول ان تنشىء مواطني المستقبل على هذا الطراز ، فاستطلع شخصيتها عن قرب دون ان يفصلني عنها حجاب من لوازم المطبخ واوانيه !!

كان عادة السيدة ، بعد عودتي من السوق بالمشتريات الاختلاء مع خادمتها كالعادة في غرفة « الموازين والمكاييل لقمع الغش » لوزن البرتقال .. والتفاح . والبصل وكل ما احمله من الفواكه وخضار وما كان جامداً او سائلا . وكنت اقص على سعيد وخالد مثل هذه القصص المسليه وكانا يضحكان ويتاملان حال هؤلاء الناس كثيرا .. وكان سعيد يقول بوداعه :

— انهم مساكين . لاتعتبوا على من حصد . ولكن حاسبوا من بذر . ان هؤلاء وامثالهم مرضى قرون طويلة من الاستعمار والفساد والشك والتحكم . ان علاجهم معروف وسيكون علاجاً نافعاً ولا شك . قد يطول ذلك . ولكنه لن يطول ابـداً . ان تصرفات هؤلاء .. وليسوا هم ، تعكر صفاء الحياة .. الحياة التي اوجدها الله للجميع . ان الله لم يقل في كل كتبه المنزلة بشقاء الاكثرية من اجل سعادة الاقلية . ان الله فوق قدرته ، عاقل حكيم . ورحيم رؤوف يحب عبيده اجمعين .

* * *

كنا قبل تركنا العمل نحن الثلاثة ذهبنا الى السينما . كانت بالقرب منا سيدة جميلة والى جانبها عجوز لعلها انفقت عمرها في التقوى . وبينما كانت صور الفلم تترى ، كان هناك همسات تعلو احيانا الى مستوى الكلمات . ولكنها في جملتها كانت همسات ، بعضها غزل ساقط . وبعضها الآخر سقاطة مجردة من الغزل . وقام سعيد يريد ان يؤدب الافواه التي كانت تفرز الافاعي سمومها وكنت اصبره ريثما تضاء الصالة فنراهم على حقيقتهم . وكذلك نراها على حقيقتها ولكنه ابى . وقام اليهم . وصرخ فيهم فأخرستهم صرخاته . وعاد الينا وكانه كتلة صاخبة من الغضب ، ليس فيه قطرة واحدة تنم عن غرض شخصي يقصد الدعاية او الحظوة .

حصلت مناسبتان او ثلاثة رأى فيها سعيد هذه السيدة في الطريق . كانت تحييه وتحدثه احاديث عامة وتدعوه لزيارتها . ولكنه يعتذر بأدب . كانت هذه المرأة المتحررة بما يزيد عن الاعتدال ، تجد في سعيد شبابا ناضجا وخلقا قويما وانسانا في مقدورها ان تحبه ، وفي قدرته ان يرضيها . ولكن سعيد كان لايساوم على عاطفته التي وهبها لفكرته . وكانت هي تريد ، ان يقترب منها لانها محاطة بذئاب بعضهم في جسدها ، وبعضها في مالها . وهي ترى سعيد ذئبا قد دافع عنها يوم كان الذباب يملأ اذنيها بالطنين ، فيعمر قلبها حنين دافىء ، وشوق لان تلقي بنفسها بين ذراعيه طيعة ، مستسلمة امنة عذارات الزمان !

اول امـــس التقى سعيد بهذه السيدة في الطريق ، فاستوقفته تحدثه ، وتشكره رابعاً وخامساً ، ثم سألته عن عمله ، فافهمها بلطف انه يعمل بعد ان طرد من معمل الزجاج .. وحدثته انها منذ وقت طويل تبحث عن منفذ تضع فيه ثروتها للاسهام في عمل شريف .

كانت الغرفة لاتزال سوداء ليس فيها طاقة على السماء يرى من خلالها وجه الله . وعلى الارض مخدات حشوها تبن واكياس عديدة هي غطاؤنا الذى نتقي به لذع البرد. وسعيد في بحران من التفكير الثقيل الذى يشبه ضغط الدم في الشرايين والاوردة . انه ضائع بين ان يحيا هذه الحياة السوداء المجردة من البهجة والمتعة ولذة العمل ، وبين هذا التجدد الذي قد ينهجه في ايامه المقبلة ، فيعرض ضمير المجتمع الاخلاقي لهزة عنيفة ، ذلك المجتمع الذي لايســاوم على الحقائق الظاهره .. وان كان يساوم اكثر فاكثر على الباب وكان سقف الغرفة مختفياً خلف سقف آخر من دخان اللفائف ، ودخان النار المشتعلة . وكانت افكار عديـــدة تنطق من رؤوسنا نحن الثلاثة بأجنحة مقصوصة ، فـــلا تلبث ان ترتد بمجرد اصطدامها بالحاجز الدخاني الشفاف فتزيدنا هماً على هم ، وتبعث في قلوبنا موجـات ثقيلة لعلها دفعات الدم الاسود التي تملأ القلب قبيل الوفاة .

كنا ندور حول فكرة مختصرة . ولكنها في ذاتها كانت شاملة . وكانت هذه الافكار المتسمة بالقلق تـــدور حول هذه المرأة . اهي حقا طيبة القلب ؟ وهل اذا كانت كذلك ، ترتب علينا أن لا ندع قلبها الطيب يغمره الحقد على الناس والحياة واؤلئك الذين نأمل منهم الخير لانفسهم ، ولها ، وللناس جميعاً كانت هذه الافكار كلها سرعان مـــا تتبخر وكان جو الغرفـــة الرطب يكثفها دون ان يدعها تنطلق الى الفراغ الواسع ، فتزيدنا انفعالا وتزيد جوارحنا حركة ، تتضاءل امام التصورات الممتدة عبر المستقبل ، نتخيل سعيد وقد جلس خلف منضدة نظيفة وحوله على لرفوف مئات الاواني البلورية . بينما الزبائن يدخلون ويخرجون . وشعور مفرح بالاستقلال والمسؤولية يرسم على الشفاه اكثر من ابتسامة جذل مفرطه في الحلاوة . وكان الصمت قد طبق بعضه فوق بعض ، كجلود مبتلة تفوح منها رائحة العرق والدم .

وكان صوت سعيد يمزق هذا الصمت بين لحظـــة وأخرى عندما يسألنا رأينا في هذة الشركة الجديدة المحفوفة بالآمال والمخاطر جنبا الى جنب . امـا سعيد الذي كان لساننا الصداح والذي كان يحل المشاكل حل الماهر المتقتن ويخيف بذكائه وطموحه وقوة جنانه الكثيرين ، ويقود المئات بحديثه وتواضعه وسعة افقه الى غد اصلح ومستقبل منشود سعيد هذا يظل ساكنا الساعة فلا يتكلم .. ولا ينطق وجهه باي تعبير ـ بعد ان كان قبل ساعات مضت ، كله تعابير مشرقة فياضة بالابداع والالهام ـ ماعدا دمعات قليلة كانت اشبه بعقد لؤلؤي ينفرط في لحظة هول فاجع .

مضى اكثر الليل .. وسـعيد لم ينته الى حل .. كان يشعل اللفافة اثر اللفافة ، ويقذف مع دخانها كل آلام الحياة . وكل اهوالها وكان جوابه يتردد اثر كل سؤال منا عن الحل الذي يرتضيه

ـ دعوني افكر . انناقد نقبل عرض هذه السيد . وقد نرفضه . ولكننا مهاقررنا ، فان طريقنا لن يتغير . ولسوف نمشي في طريق النصر حتى نهايته .

* * *

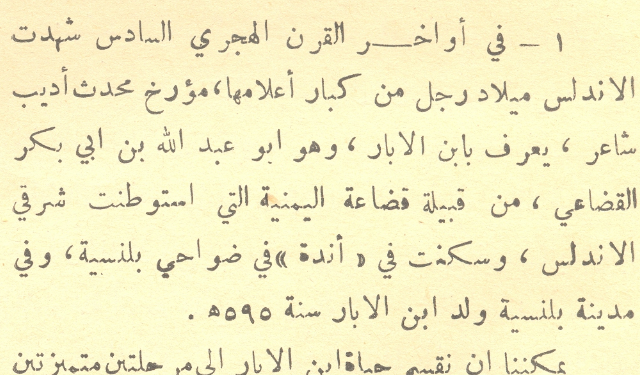
وفي الصباح كانت الشمس تملأ الكـون . وكان الطقس معتدلا حتى لكأننا في يوم ربيعي قد غرسه الله في حديقة الشتاء .. وفي هذه اللحظات التي كانت الطبيعة تبدو فيها سعيدة ، وقف سعيد بباب الغرفة وعلى شفتيه ابتسامة حلوة توحي بالثقة وهو يقول لنا :

ـ كنا نصنع الزجاج .. واليوم نحن سنبيعه . واذا كان مال شريكتنا قذرا .. فاننا سنطهره بعرق جباهنا .

والى اليوم لا ازال اذكر يوم جمعتني ظروف العمل باثنين من الزملاء في غرفه للنوم تشـــبه الاسطبل . لقد كانت قصة حياتنا قصة خليقة بان تكتب على كل قطعه زجاج في هذا العالم . انها قصه الغرفة السوداء .

حلب : علي بدور

ابن الابار



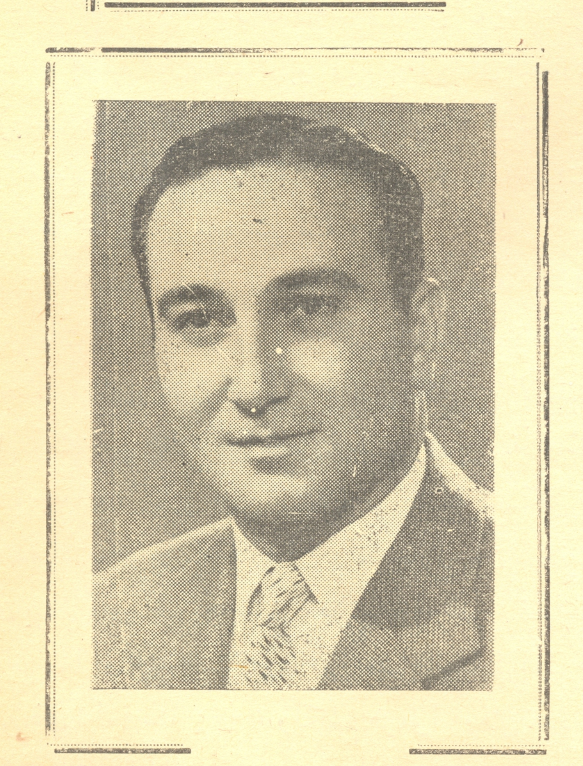
١ - في أواخــر القرن الهجري السادس شهدت الاندلس ميلاد رجل من كبار أعلامها، مؤرخ محدث أديب شاعر، يعرف بابن الابار، وهو ابو عبد الله بن ابي بكر القضاعي، من قبيلة قضاعة اليمنية التي استوطنت شرقي الاندلس، وسكنت في «أندة» في ضواحي بلنسية، وفي مدينة بلنسية ولد ابن الابار سنة ٥٩٥هـ.

يمكننا ان نقسم حياة ابن الابار الى مرحلتين متميزتين اولاهما في الاندلس والثانية في تونس، وسنفصل القول في كل منهما.

٢ - قضى ابن الابار طفولته في مسقط رأسه بلنسيه، وهي مدينة مشهورة بجمال موقعها وغنى اراضيها، تقع على ثلاثة اميال من البحر، في سهل منبسط، «في غاية الخصب واعتدال الهواء»، ويشقها نهر جار، يسقي بساتينهـا ومزارعها، وعلى جانبيه جنات وارفة الظلال، وعمارات متصلة. هذا الموقع الجغرافي الممتاز جعل بلنسية مدينه غنية بتجارتها وزراعتها، فالقوافل لاتني تمر بها، وحركة الميناء البحري القريب منها لاتكاد تهـدأ، ولخصب الارض واعتدال الهواء تنوعت محصولاتها الزراعية، وكثرت فواكهها وثمارها، ورخصت اسعارها واصبحت - كمـا يقول الحميري - جامعة لخيرات البر والبحر.

والمؤرخون يجمعون على الثناء على اهـل بلنسية واخلاقهم العربية الاصيلة، فلهم «حسن زي وكرم طباع والغالب عليهم طيب النفوس».

في هذا المحيط الخير الخصب نشأ ابن الابار واذا كنا لانعرف الشيء الكثير عن طفولته وشبابه فان مؤلفاتـه



الكثيرة التي وصل بعضها الينا تدل على ان صاحبها امضى في التحصيل والدراسة زمنا ليس بالقصير قبل ان يكتمــل تكوينه الثقافي وينشط الى التأليف، فهو قد درس على شيوخ كثيرين، يردد اسماءهم في مؤلفاته، وينقل عنهم، من امثال ابي عبد الله بن نوح، وابي جعفر الحصار، وابي الخطاب بن واجب، وابي الحسن بن خيرة، وابي سليمان بن حوط، وابي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعدة؛ ويمكننا ان نعد ابا الربيع بن سالم في طليعة شيوخ الابار، فقد لزمه قرابة عشرين عاماً، وابو الربيع اكبر محدث في عصره واشهر علماء الاندلس في زمانه، وهو الذى علم ابن الابار صناعة الكتابة, واورثه اياها.

لم يكتف ابن الابار بالدراسة على علماء بلنسية، بل

تام برحلة طويلة جاب بها الانـــدلس ، واصبح يجمع الى تضلعه في الحديث ثقافة جامعة لعلوم عصره ، ثم عاد اخير ولما يبلغ الثلاثين من عمــره ، الى بلنسية ، ليتخذه اميرهـ السيد ابو عبد الله محمد بن ابي حفص بن عبد المؤمن بن علي كاتباً له ، ثم اصبح كاتباً لابنة السيد ابي زيد من بعده .

وعند ما استطاع زيان بن مـــردنيش ان يتغلب على نسية ، هرب اميرها السيد ابو زيد والتجأ الى النصارى الاسبان ، وصحبه كاتبه ابن الابار ، ولكنه لم يلبث ان تركه عندما اعتنق النصرانية ، وعاد الى بلنسية ، ليكتب لاميرها الجديد ابن مردنيش سنة ٦٢٦ هـ

كانت الاندلس آنذاك مسرحاً للحروب الاهلية الداخلية وللهجمات المعادية الخارجية ، وكانت بلنسية بخاصة هدفـاً لهجمات ملك اراغون الدون جاقم الذي تمكن من الاستيلاء على كثير من القلاع والحصون حـــول بلنسية وشقر سنة ٦٣٣ هـ ، وبني حصن انيشة قرب بلنسية ليعسكر فيه جنده استعداداً لحصار بلنسية . ولقد حاول ابن مردنيش ان يبذل آخر جهوده فاستنفر اهل شاطبة وشقر ، فخرجوا وانضموا الى جند بلنسية ، وهاجموا حصن انيشة في العشرين من ذي الحجة سنة ٦٣٤ ، ولكنهم هزموا ، وقتل عدد من كبار الفقهاء العلماء ، ومـن بينهم الاديب المحدث العلامـة ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي شيخ بن الابار فرثاه تلميذه بقصيدة طويلة اولها :

ألما بأشلاء العلا والمكارم　　تقد بأطراف القنا والصوارم

كانت هزيمة المسلمين امام حصن انيشة دليلا على قرب سقوط بلنسية فأخذ الناس في الانتقال عنها ، وفي رمضان سنة ٦٣٥ هاجم ملك أراغون بلنسية وضرب حولها حصاراً قوياً ، وادرك المسلمون فيها ان لاطاقة لهم بصد المحاصرين وعزموا على الاستعانة بسلطان الدولة الحفصية في المغرب ، وعند ذلك ارسل ابن مردنيش وفداً من اهل بلنسية الى سلطان تونس أبي زكريا ، يحيى ، واوفـد معه كاتبه ابن الابار في رجب سنة ٦٣٦ ، فحمل الوفد بيعة اهل بلنسية للسلطان الحفصي وطالبه بنجدتهم ، وقـد ادى ابن الابار مهمته خير تادية ، وانشد بين يـــدي السلطان في تونس قصيدة ضارعة طويلة بدأها بهذا المطلع اليائس المستغيث :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا　　ان السبيل الى منجاتها درسا

فكان للقصيدة تأثيرها الكبير في نفس السلطان الحفصي فامر من فوره بارسال اسطول الى المدينة المحاصرة محملاً بالعتاد والسلاح والقوات والمال ، ولكن المدد وصل الى ميناء بلنسية ليجد النصارى قـد راقبوا الميناء واحكـموا حصارهم للبلدة ، فاضطر الاسطول الى الرسو في ميناء دانية ولم يجد سبيلا الى مساعدة المدينة المحاصرة وانقاذهـــا .. واشتدت وطاة الحصار على بلنسية ، وعدمت الاقوات ، وكثر الهلاك من الجوع ، فلم ير المسلمون فيـــا بدا من المفاوضة لتسليم المدينة ويصف لنا ابن الابار نفسه سقوط بلده ، ذلك أنه حضر بنفسه تسليمه الى المحاصرين يوم الثلاثاء في السابع عشر من صفر سنة ٦٣٦ ، ففي هـــذا اليوم « خرج ابو جميل زيان من المدينة ــ وهو يومئذ اميرها ــ في اهل بيته ووجوه الطلبة والجند ، واقبل الطاغية وقـد تزيا باحسن زي ، في عظماء قومه ، من حيث نزل بالرصافة اول هذه المنازلة « فتلاقيا بالوجـة ، واتفقا على ان يتسلم الطاغيه البلد سلماً لعشرين يوماً ينتقل اهله اثناءها باموالهم واسبابهم ، وحضرت ذلك كله ، وتوليت العقد عن ابي جميل في ذلك .. » ثم ابتدأ الجلاء .

كان حزن المسلمين على سقوط بلنسية عظيماً ، وبكى ابن الابار مسقط رأسه بدمع غزير .. « واما الاوطان .. فقد ودعنا معاهدها وداع الابد .. اين بلنسية ومغانيها ، واغاريد ورقها واغانيها ؛ اين حلى رصافتها وجسرها ، منزلا عطائها ونصرها ؛ اين افياؤها تندى غضاره ، وركاؤها تبدو من خضاره ، اين جداولها الطفاحة وخمائلها ، اين جنائنهـا النفاحة وشمائلها ! شد ما عطل من قلائد ازهارها نحرها .. فاية حيلة لاحيلة في صرفها مع صرف الزمان ، وهل كانت حتى بانت الا رونق الحق وبشاشة الايمان ! »

وكأن ابن الابار قد ادرك بعد سقوط بلنسية ان سيوالون هجماتهم على المدن الاسلامية الباقية في الاندلس

واحدة اثر اخرى ، فعزم على الهجرة باسرته الى تونس . لاجئا الى حمى السلطان الحفصي الذي لقي منه خلال سفارته السابقة لديه كل رعاية وتكريم ؛ وكذلك غادر ابن الابار في اواخر صفر من عام ٦٣٦ ارض الاندلس الى غير عودة!

* * *

٣ – كانت تونس تستقبل افواج المهاجرين اللاجئين من الاندلسيين الهاربين من زحف النصارى الاسبان فتحسن ايواءهم ورعايتهم ، وكان سلطان تونس قد انتهى قبيل سنتين الى دعم ملكه فيها ، وبقضائه على ثورات القبائل العربية استتب الامر للبيت الحفصي في تونس، وبدا السلطان ابو زكريا حاكماً مرهوب الجانب ، يعلق الاندلسيون مالهم عليه ، ويقدمون له البيعة معترفين بسلطانه عليهم ، طالبين حمايته لهم؛ وقد حذا حذو الاندلسيين عدد من مدن مراكش ، بذلك اتسع ملك الحفصيين ، وغدا ابو زكريا سلطانا على جميع العرب الاسلام ، وظهرت سياسته الحكيمة الحازمة في الداخل ، كما ظهرت حسناتها في الخارج بعلاقاته مع النصارى والمعاهدات التجارية التي عقدها .

في ظلال هذه الدولة القوية وسلطانها الحازم كان على ابن الابار ان يلقى المجد والثروة والنجاح ، لسابق كفايته وتجاربه في الكتابة والعمل في الدواوين لدى امراء بلنسية والسفارة لهم والحق ان السلطان ابا زكريا احسن استقباله وقدر مواهبه وعهد اليه بالكتابة في ديوانه ، ثم اسند اليه كتابة الانشاء والعلامة ، ولكن سوء الحظ شاء لابن الابار الاخفاق الذريع في عمله الجديد !

كان ابن الابار يكتب العلامة السلطانية بالخط المغربي وكان السلطان يؤثر ان تكتب بالخط المشرقي ، لهذا لم يلبث ان عهد بكتابتها الى احمد ابن ابراهيم الغساني ، وطلب من ابن الابار ان يقتصر على انشاء الرسائل وكتابتها وان يدع مكان العلامة فيها للخطاط الجديد ! فغضب ابن الابار لكرامته وساءه ايثار غيره عليه ولم يطلع ما امر به فظل يخط العلامة بخطه المغربي ، فعوتب في ذلك وروجع فاستشاط غضبا ورمى بالقلم من يده وأنشد :

اطلب العز في لظى وذر الذل ولو كان في جنان الخلود

وحمل الخبر الى السلطان فصرفه عن العمل وامره بلزوم بيته !

اخفاق ابن الابار في عمله الديواني في تونس مرده الى حدة الطباع والخلق اولا ، ثم الى سعاية بعض حساده من اهل تونس ، ممن ساءهم ان يروا المهاجرين الاندلسيين يحتلون ارفع المناصب في الدولة الحفصية ويزاحمونهم عليها بما يملكون من ثقافات ومواهب ! ولقد احس ابن الابار سريعا بفداحة خطئه فحاول ان يتلافاه ، والتجأ الى نجل السلطان الامير ابي عبد الله محمد ، يسأله الشفاعة له عند ابيه ، (والامير رجل موصوف بالشجاعة والخبرة) ، وهو الذي آل اليه ملك الدولة الحفصية بعد وفاة السلطان وولي عهده ابي يحيى ، ولقب بالمستنصر وراح ابن الابار ينظم القصائد الضارعة معتذرا راجيا عفو السلطان وصفحه عن زلته :

لمبشري برضاك ان يتحكما لا المال أستثني عليه ولا الدما
ندمي على ما ندمني دائم وعلامة الاواب ان يتندما

وعكف ابن الابار خلال الفترة التي كان مهدداً فيها بالنفي عن الحضرة على تأليف كتاب رفعه الى السلطان ، وضرب له فيه الامثال على عفو الملوك والامراء عن ذنوب كتابهم ، وقبولهم اعذارهم ، وسماه « اعتاب الكتاب » ، وجاءت مساعي الامير ابي عبد الله محمد مكللة بالنجاح ، بعد طول ترقب وانتظار ، ورضي السلطان عن ابن الابار ، وغفر له زلته ، واقال عثرته ، واعاده الى سابق عمله .

وفي سنة ٦٤٦ يموت ابو يحيى ولي العهد ، ويلحق به والده المفجوع به بعد سنة من وفاته ، ويصير الامر الى ولد آخر للسلطان ، هو المستنصر .

كان السلطان الجديد في الثامن والعشرين من العمر ، وكان عالي الهمة يحب البناء والقصور ، وابن خلدون يسهب في وصف الآثار السلطانية التي بنيت في عهده . وقد تابع المستنصر ساسية ابيه في الداخل والخارج ، وجمع حوله طبقة من العلماء والادباء ، وكان ابن الابار واحدا منهم ، ذلك اننا نجده يرتجل الشعر مرة في حضرة المستنصر ويدبج له الرسائل في وصف منشآته العمرانية واصلاحاته ،

ولكن حساد ابن الابار كثيرون لايفتأون يكيدون له ، وفي مقدمتهم الوزير ابن ابي الحسين ، وكان من الداعدائه الحاقدين عليه ، وقد تمكن هذا الوزير من ان يوغر صدر المستنصر على ابن الابار وان يحمله على نفيه الى بجاية ؛ وكان ذلك سنة ٦٥٥ اذ يحدثنا علي بن محمد بن رزين التجيبي انه سمع ابن الابار في هذه السنة في بجاية يقرأ معجمه ، وكذلك امضى ابن الابار مدة نفيه في هذه البلدة « عاطلا من الرتب ، خاليا من حلي الادب ، مشغلا بالتصنيف في فنونه » كما وصفه ابن سعيد عندما لقيه في بجاية ، وجرت بينهما « مجالسات آنق من الشباب ، وابهج من الروض عند نزول السحاب ! » ومهما يكن فان اقامة ابن الابار في بجاية مدة نفيه اليها اتاحت للغبريني ان يكتب ترجمة له في كتابه الذي جمع فيه من عرف العلماء في القرن السابع في بجاية .

لايمكننا ان نحدد التاريخ الذي استطاع فيه ابن الابار ان يسترضي المستنصر وان يفوز بعفوه ، ولكن ابن الابار لم يستطع ان يحتفظ برضي السلطان طويلا بعد عودته الى تونس ؛ ذلك انه كانت تبدو منه نزوات تغضب المستنصر فكان يدل دائما بعمله . ويتدخل احيانا في امور لاتعنيه ! واصبح السلطان اذا ورد عليه لغز او معمى او مترجم بعث به الى ابن الابار فيحله ، حتى اذا دخل عليه لم يكلمه ولم يلتفت اليه وكان ابن الابار يتشكى من ذلك ويتألم ، وينعى على الزمان سوء حظه :

علت سني وقدري في انخفاض وحكم الرب في المربوب ماض
الى كم اسخط الاقدار حتى كأني لم اكن يوما براض

ولقد حاول ابن الابار محاولة اخيرة ان يستعيد مكانته لدى السلطان فباء بالخذلان وعجل بنكبته ! ذلك انه حضر يوما مجلس السلطان فسمعه يسأل بعض من حضر عن مولد ولده الواثق ، فغدا عليه ابن الابار في اليوم التالي برقعة فيها تاريخ الولادة وطالعها ، فلما رآها المستنصر استشاط غضبا من فضوله وتطفله ، وكانت وشايات الحساد لاتني توغر السلطان ، وتتهم ابن الابار عنده بتوقع المكروه للدولة ، وتشنع عليه لنظره في النجوم ، فامر السلطان بالقبض عليه ومصادرة جميع كتبه ومؤلفاته ، وعهد الى الكاتب احمد بن ابراهيم الغساني بتفتيش كتبه ودفاتره ، فعثر فيها - كما يزعم - على رقعة فيها هجاء للسلطان كقوله

طغى بتونس خلف سموه ظلماً خليفه

كما عثر في كتاب سماه « كتاب التاريخ » على ما يسيء الى السلطان ، فغضب المستنصر وامر بضربه بالسياط وقتله واحراق مؤلفاته ، فقتل « قعصا بالرماح » صبيحة الثلاثاء في الحادي والعشرين من محرم ٦٥٨ واحرق شلوه واخذت مجلدات كتبه واوراق سماعه ودواوينه فاحرقت معه ، وكانت نحو من خمسة واربعين تأليفا !

هذه النهاية الفاجعة جعلت المؤرخون يعطفون على ابن الابار ويتهمون قاتله بالظلم والجور ، حتى لقد اطلق عليه بعضهم اسم الشهيد ، كما راح آخرون يصفون ندم السلطان بعد ذلك على قتله !

آثار المؤلف

لم يصل الينا من مؤلفات ابن الابار الخمسة والاربعين غير ستة تصانيف ، اما المؤلفات الاخري فقد اكلتها النيران كما اكلت جثة مؤلفها ، او ضاعت خلال القرون ، وأصبحنا اليوم لا نعرف عنها غير اسماء بعض منها ، يذكرها ابن الابار حيناً في تضاعيف كتبة التي وصلت الينا ، او يشير اليها بعض من اقتبسوا منها من مؤرخي الاندلس حيناً آخر ؛ وهذه الاسماء هي :

١ - افادة الوفادة : ذكره المقري في نفح الطيب ، وموضوعه ذكر الوافدين من الاندلس من المشرق .

٢ - كتاب ايماض البرق في ادباء الشرق : ذكره ابن شاكر في فوات الوفيات .

٣ - كتاب التاريخ : وكان سبب مقتله واحراق كتبه لما وجد فيه من امور تسيء الى المستنصر .

٤ - كتاب التحفة : ولعله كتاب « تحفة القادم » الذي سنتحدث عنه بعد قليل .

٥ = قطع الرياض : وهو كتاب في متخير الاشعار .

٦ ــ المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح : وهو وهو كتاب في الاحاديث التى رواها هذا العالم الحمصي الذي هاجر الى الاندلس واستقضاه عليها عبد الرحمن الداخل .

٧ ــ معادن اللجين في مراثي الحسين : والغبريني كثير الاعجاب بهذا الكتاب : « ولو لم يكن له من التآليف الا كتابه هذا الكفاه في ارتفاع درجته وعلو منصبه ، وسمو رتبه » .

٨ ــ هداية المعتسف في المؤتلف والمختلف : اشار اليه ابن الابار في معجمه ، ومن المحتمل ان يكون كتاباً آخر غير الكتاب التالي الذي يحمل اسماً مشابها .

٩ ــ هداية المعترف في المؤتلف : ويذكره المقري في نفح الطيب .

١٠ ــ مظاهرة السعي الجميل ، ومحاذرة المرعي الوبيل في معـــارضة ملقي السبيل (صلة التكملة للحسيني ــ خ) الاعلام : ٢٠٩/١٠

١١ ــ انيس الجليس ونديم الرئيس (هدية العارفين : ١٢٧/٢)

اما الكتب الستة التي وصلت الينا وطبع اكثرها فهي :

١ ــ التكملة لكتاب الصلة : كتاب في تراجم علماء الاندلس ، يكمل كتاب (الصلة) لابن بشكوال ، وهو مصنف حسب الترتيب الابجدي لاسماء الرجال ، صنفه ابن الابار في مدى خمسة عشر عاما ، كما يذكر في مقدمته ، فقد بدأه سنة ٧٣١ وانتهى منه ٦٤٦ ؛ والكتاب مطبوع بكامله : نشر القسم الكبير منه كوديرا ، من حرف (ج) الى نهاية الكتاب ، في مجلدين في مدريد خلال عامي ١٨٨٨ ــ ١٨٨٩ ، ونشر القسم الاول الباقي منه ابن شنب وبل في الجزائر عام ١٩٢٠ .

٢ ــ المعجم في اصحاب القاضي الصفدي : كتاب في تراجم الاندلسيين الذين عرفوا القاضي ابا علي الصفدي ، وقد صنفت اسماؤهم حسب الترتيب الابجدي ، والكتاب مطبوع ، نشره كوديرا في مجلد واحد سنة ١٨٨٦ في مدريد .

٣ ــ الحلة السيراء في اشعار الامراء : كتاب في الادب ، اراد ابن الابار ان يصف فيه النشـــاط الادبي لمشاهير الاعلام في السياسة والحرب ، من رجال الاندلس وشمالي افريقية ، فقسم الكتاب الى قسمين غير متساويين : اولهما في تراجم الرجال الذين لم تصل آثارهم الى ابن الابار وثانيهما ملحق يتعلق بهؤلاء الرجال ، وقد صنف ابن الابار التراجم تصنيفاً زمنيا فأفرد لكل قرن رجاله ، من القرن الاول الى القرن السابع ، وفي الملحق من القرن الاول الى الثالث ، ورتب المؤلف الاعلام في كل قرن ترتيباً يجمع رجال كل اسرة معاً ، او الرجـــال الذين تضمهم ميول سياسية متجانسة . نشر دوزي من الكتاب قطعا متفرقة في فصول متعددة ، نجد اهمها في كتابه (تعليقات على بعض المخطوطات العربية المطبوع في ليدن سنة ١٨٤٧ ــ ١٨٥١ في مجلد واحد ، وقد تابع مولر عمل دوزى فنشر قطعاً اخرى من الكتاب سنة ١٨٦٦ ، ولكنه وقف عند نهاية القرن الثاني من الملحق .

٤ ــ تحفة القادم في شعر الاندلس : كتاب في تراجم الشعراء ، يضم تراجم مائة من الشعراء واربـــع من الشاعرات ، من اهل الاندلس ، من رجال القرنين الخامس والسادس ، مع قطع مختارة من اشعارهم ؛ وقد وصل الينا مختصر لهذا الكتاب ، من عمل ابي اسحق ابراهيم بن محمد البلفيقي (المنقتضب من كتاب تحفة القادم) طبعه الفريد بستاني في مجلة المشرق ، وعن هذه الطبعة اخرجت فصلة من المجلة ، لاتحمل تاريخا .

٥ ــ درر السمط في خبر السبط : وهو كتاب اخبار الحسين بن علي ابن ابي طالب ، ويدل على تشيع ابن الابار ويقول عنه المقري في نهاية الصفحات التي ينقلها من : « وهو كتاب غاية في بابه . ولم اورد منه غير ماذكرته ، لان في الباقي ما نشم رائحة التشيع ، والله سبحانه يســامحة بمنه وكرمه ولطفه » ، وقد وصلت الينا من هذا الكتاب نسخة خطية وحيدة تعود الى القرن الثاني عشر الهجري ، وكان السيد عامر غديرة قد حققها وترجمها للفرنسية واعدها للطبع ، وقدمها لنيل دبلوم الدراسات العليا في باريس .

اما الكتاب السادس والاخير فهو (اعتاب الكتاب) الذي نحققه وينشره اليوم مجمع اللغة العربية بدمشق لاول مرة .

اعتاب الكتاب

١ — نكاد نعرف المناسبة التي شهدت تأليف كتاب (الاعتاب) بجميع جزئياتها ودقائقها . وذلك ان كتب التاريخ التي عنيت بترجمة ابن الابار اولت تلك الفترة العصيبة من حياته اهتمامها ، وابن الابار نفسه يحدثنا في مواطن كثيرة من كتابه هذا عن طبيعة الاحوال التي رافقت تأليفه اياه ، فقد ارتكب ابن الابار ذنباً اثار عليه غضب السلطان الحفصي ابي زكريا وغير قلبه عليه ، ولكي يستعيد مكانته لديه تشفع بنجله الامير ابي عبد الله فنال بشفاعته عفو السلطان ورضاه ؛ واذا كان ابن الابار يسكت عن تحديد الذنب الذي جناه فلا يكشف عنه فان المؤرخين — كما قدمنا — اشاروا اليه في قصة حياته .

الف ابن الابار (اعتاب الكتاب) وقدمه الى السلطان الحفصي في حياة ولده ابي يحيى ولي العهد ، بآية ما نجد في نهاية مقدمة المؤلف من دعاء لولي العهد هذا وتمجيد له وهذه الاشارة تعيننا على تحديد التاريخ التقريبي لزمن تأليف الكتاب ، فقد اصبح الامير ابو يحيى ولياً للعهد سنة ٦٣٨ توفي قبل ابيه سنة ٦٤٦ ، فبين هاتين السنتين اذا الف ابن الابار كتاب الاعتاب .

* * *

٢ — نستطيع ان نحدد بسهولة الغاية التي توخاها ابن الابار من تأليف كتابه هذا ، ذلك انه اراد ان يضرب للسلطان ابي زكريا الامثال على حلم الملوك وعفوهم عن اخطاء كتابهم ، فراح يبحث عن هذه الامثال في تراجم الكتاب ، في الشرق والغرب الاسلاميين ، ويتقصاها ويجمعها ويبرز في كل مثل اقالة الذنب ، ليحث بذلك السلطان على اقالة ذنبه ، ومن هنا كان الكتاب ، في هيكله العام ، تراجم مقتضبة لهؤلاء الكتاب وأخطائهم وعفو اسيادهم عنها ، ولما كانت « اقالة العثرة » هي المحور الاساسي في تأليف الكتاب فقد اهمل المؤلف في ترجمة كل كاتب ما ليس له صلة بذلك المحور في حياته ، ومن ايضاً كانت تسمية الكتاب تومىء الى الغرض الذي الف من اجله وتكشف عن موضوعه : فالاعتاب مصدر من « اعتب » وتقول : « اعتبه » اذا اعطاه العتبى اي الرضى وازال لومه وارضاه ، فاعتاب الكتاب اذاً اعطاؤهم العتبى بالرضى عنهم والعفو عن زلاتهم واعادة الحظوة والحقوق اليهم ؛ وبذلك يلخص عنوان الكتاب غرضه وموضوعه .

ثم ان الكتاب يمثل منهج ابن الابار المؤرخ على طريقة التراجم ، وهي الطريقة الغالبة عليه في اكثر مؤلفاته .

* * *

٣ — يمكننا ان نقسم الكتاب الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : المقدمة وفيها يستعرض المؤلف موضوع كتابه ويشرح الغرض منه .

القسم الثاني : تراجم الكتاب وعددها خمس وسبعون ترجمة ، تختلف طولا وقصراً ، فبعضها يتسع حتى يشغل اكثر من خمس صفحات (مثل ترجمة سهل بن هارون العتابي وابن الزيات وسليمان بن وهب وابن زيدون وغيرهم) ويضيق بعضها ويقصر فلا يزيد على اسطر قليلة (كترجمة كاتب الهادي وعبد الله بن سوار ابن ميمون وابي جعفر البغدادي وغيرهم) اما تصنيف التراجم فقد قسمت الى قسمين ظاهرين : اولهما التراجم الكتاب المشارقة ، وثانيها التراجم كتاب الغرب الاسلامي (شمالي افريقية والاندلس) وان لم تكن مراعاة هذا التقسيم دقيقة جداً ، ذلك اننا نجد في قسم المشارقة امثال داود القيرواني وعبد الله بن محمد الزجالي الاندلسي ، كما نجد في القسم الثاني ترجمة الكاتب صلاح الدين .

وتتسلسل التراجم في كل من القسمين تسلسلا زمنيا ، فتراجم المشارقة تبدأ بكتاب عثمان الخليفة الراشد الثالث فكتاب الامويين فالعباسيين ، خليفة بعد خليفة ، وفي

القسم الغربي تأتي ترجمة كاتب عبد الرحمن الناصر قبل كتاب الحاجب المنصور ، وبعد هؤلاء تأتي تراجم كتاب ملوك الطوائف .

ويكاد ابن الابار يتبع منهجا واحدا في كل ترجمة ، في كتابه : فهو يبدأ الترجمة بتحديد أسماء السادة الذين كتب لهم صاحب الترجمة ؛ ويمر بذلك مربعا حتى يصل الى السيد الذي اغضبته زلة صاحب الترجمة ، وعند ذلك يتمهل ابن الابار ليقص علينا كيف تمكن الكاتب من استرضاء سيده ، ويرينا الوسيلة التي تمكن من ان يستعيد بهامكانته لديه ، من رسالة يكتبها اليه ، او قصيدة يمدحه بها ، او يعتذر فيها من ذنبه ويعلن توبته وندمه ؛ وقد يستطرد ابن الابار عند ذكر بعض الرسائل او القصائد مشابهة لاخرين فرسالة هذا الكاتب تستدعي ذكر قول فلان .. وهذا المعنى يستدعي ذكر ماقاله فلان وقد اهمل ابن الابار في تراجمه تحديد سني الولادة والوفاة ، والحق ان الكتاب يمثل سلوباً جديدا في فن التراجم ، اسلوبا موجها وجهة خاصة

ويشير ابن الابار في اغلب الاحيان الى مصادره التي ينقل منها ، وقد كان امينا في نقله حتى يبدو لنا في كتابه جماعة يجمع وينقل يحاول ان يربط ويضم اطراف مايجمعه وينقله ، ويضيف الى ذلك ، هنا وهناك ، اشارات الى السلطان ابي زكريا وولي عهده يحيى ، اما ابن الابار المؤلف حقاً فلا يظهر الا في التراجم التي خص بها بعض الكتاب الاندلسيين الذين عرفهم في حياته معرفة شخصية .

ويورد ابن الابار احيانا روايات مختلفة لحادثة واحدة من مصادر شتى دون ان يقطع بتفضيل رواية على اخرى ، ويذكر لنا ابن الابار اسماء مصادره فاذا هي قرابة ثلاثين مصدرا مشرقيا ومغربيا واندلسيا ، وبعضها اليوم ضائع ، لم يصل الينا ، مثل كتاب (الاخبار المنثورة) لابي بكر الصولي ، و (اخبار الدولة العامرية) لابن حيان ، و (طبقات خلفاء الاندلس) لسكن بن ابراهيم الكاتب ؛ وبضياع هذه المصادر وامثالها تزداد قيمة الكتاب الذى ننشره .

القسم الثالث : خاتمة المؤلف وفيها يعلن ابن الابار غايته من تقديم كتابه الى السلطان ابي زكريا ، فجميع تلك الامثلة التي ضربها لعفو الملوك عن زلل كتابهم هي دون عفو السلطان ابي زكريا عن زلته ؛ يقول : « كل ذلك بالنسبة الى الحلم الامامي والاسجاح ، كالذبالة باهرت انوار الصبح الوضاح » ثم ينهي الخاتمة بايراد عدة قصائد في مديح السلطان وولي عهده والاعتذار والحمد .

٤ – لكتاب (الاعتاب الذي ننشره اليوم لاول مرة قيمة محققة : فهو مصدر تاريخي يكشف لنا عن حياة عدد كبير من الكتاب والوزراء في الدول العربية الاسلامية في الشرق والغرب ؛ وقد يقدم لنا احيانا معلومات لانجدها في مصدر آخر تزيدنا علما بحياة تلك الشخصيات السياسية التي لعبت ادوارا هامة في تاريخ الحضارة الاسلامية ، وتنير لنا جانبا من النظم والتقاليد التي كانت متبعة في تنظيم الدواوين واعمالها في دول العالم الاسلامي ؛ وكتاب (الاعتاب) بذلك كله يأخذ مكانه الى جانب (كتاب الوزراء والكتاب) للجهشياري و (كتاب الفخري في الآداب السلطانية) لابن الطقطقي و (كتاب الوزراء) للصابي ، غير ان ابن الابار يشق مع ذلك في كتابه طريقا جديداً ، فهو لايهتم بتقديم تراجم كاملة لمن يكتب عنهم ، ذلك ان هنالك فكرة موجهة لعمله كله تتلخص في (اقالة العثرة واعتاب المسيء) واهتمام ابن الابار منصرف الى تقصي كل ماله صلة بهذه الفكرة في تراجم الكتاب وقصص حياتهم قبل كل شيء آخر !

ثم ان كتاب (الاعتاب) قيمة ادبية ايضا بما يتضمن من قصائد شعرية ومقطعات ، وبما فيه من رسائل بذل الكتاب في تحبيرها جهودها لاحد لها ، لكي يستطيعوا ان يرققوا بها قلوب اسيادهم الغاضبين وينالوا عفوهم ورضاهم اما اشعار الكتاب فقد اشاد النقاد بحلاوتها وجمالها : يقول أبن رشيق : « الكتاب ارق الناس في الشعر طبعا ، واملحهم تصنيفا ، واحلاهم الفاظا ، والطفهم معاني ، واقدرهم على تصرف ، وابعدهم من تكلف ، وقد قيل : الكتاب دهاقين الكلام » :

وقوفاً ايها الرفاق !

للشاعر الجزائري : مالك حداد
نقلها الى اللغة الام : ملك ابيض العيسي

وقوفاً ايها الرفاق
فالجبل على صواب ..
انه الحل الوحيد ..

اصغوا الى خطوات الموتي الثقيلة ..
– ماذا تسمى ايها الشيخ ؟
– اني اسمى جثه ..
كنت واحداً من الاحياء . وكانت لي بناتي .
لقد شربت الحليب ..
والماء .
كما شربت الوهم ..

وقوفاً ايها الرفاق . .
فالجبل على صواب . .
ولاح لي طعام قلبي وحطام القباب في قرنا ..
وعرفت ان اجدد بناءها في انشودة امل ..

اني اكتب عن موتانا ..
لقد سمعتهم يقولون :
ان عويل المأتم هو احيانا مهد الاغنيات
مهد الموسيقى ذاتها . .

اما الآن . . فان الشقاء
وخطى الموتى الثقيلة . .
ستكون وحدها نغم الصباح . .
الشقاء الجزائري . . ياجلال الشقاء !
انه يعيد اناشيد الغد المترع بالغناء

لقد لوى الانسان ذراعيه
انه ينتحب في اعماق فرحة

ما اشد غبطة الموتي بالضحكات المقبلة . .

انهم يزرعون اغانيهم فوق القباب المحترقة
ألسواقي دمهم . .
والمحيط فى عيونهم ..
وقمح المجاعة قد ارسل لحنه الحزين ..

غن ايها الراعي ..
فالمشاعل رجال ..
ما اشد غبطة الموتى بالضحكات المقبلة . .
وقوفاً ايها الرفاق ..
فالجبل على صواب ..

هؤلاء الموتى الذين تظلكم حمايتهم
لهم وحدهم ملء الحق والسلطه
بأن يرسموا لنا طريق الحياة . .
لقد ركزونا بعدهم
كما تركزا لزهرة على الحجر الصامت . .

ولكتاب (الاعتاب) اخيرا قيمة انسانية ، ذاك ن موضوعه قريب من موضوع كتاب التنوخي في (الفرج بعد الشدة) وكتاب الشابشتي في (اليسر بعد العسر) وهذه المؤلفات كلها تعالج موضوع المحنة وانكشاف الشدة ، وهي بذلك تعين الانسان على ان ينظر الى الحياة ومصائبها الكثيرة نظرة تفيض بالامل والتفاؤل والاشراق ، وتحثه على الصبر والنضال ، وفي ذلك تخفيف من الام الانسانية وحض لها على موالاة السير في طرق العيش والعمل والجد والتقدم . هذه الفوائد التاريخية والادبية والانسانية هي التي لفتت نظرنا الى الكتاب وقيمته ، وشجعتنا على تحقيقه والعناية به ، ودفعت مجمع اللغة العربيه بدمشق الى نشره وتقديمه في جملة مطبوعاته .

الدكتور صالح الاشتر

اني احمل املي الواثق من الظفر
امل لايتوسل ، ولا يستجدي ..

۞

اني واثق من الفرح ..
سيكون الفرح جزئرياً ..
فرح هذه القرية التي سيولد فيها الاطفال ..
يذهبون الى المدرسة ..
يا للفرح الغارق في الفرح ! ..
كسعادة بكر ..

۞

ان افتراضي يقين ..
وقوفاً ايها الرفاق ..
فالجبل على صواب ..

۞

ستملأ الاعراس والحلوى الربوع
سنكون وقوفاً كلنا ..
وسيخلد الجبل للنوم الهني ..
لن تكون المناديل لتجفيف الدموع ..
ولن يكون النسيج لصنع الاكفان ..
ذلك هو الفرح .
انه اشد بساطة من كلمة «صباح الخير» ..

۞

في بساطة حياتنا اليومية يكمن السمو ..
في بيتنا الذي سنبنيه
في بيتنا الذي سنجدد بناءه
ذلك هو الفرح ..
ذلك هو الفرح ..
يـا يتيمـــتي ..
سيكون لك ام غداً ..

۞

واذا كنت احيا الآن
فاني احيا للعاصفة
اغـــني ..
لـــك
انت ..

۞

عندما يزدحم شارع « سان ميشيل »(١)
بالاقدام رائحة غادية اراني ارثي لاصابع
قدمي ..
اين منها طريقها الذي تحن اليه ؟
طريقها الذي حرم عليه ضوء النهار ..
طريقها حيث يحمي القمر الشاحب الثوار
وانه لعلى صواب ..

۞

ما اغبى باريس حين تعتقد ان وجودها
يبرر كل شيء ! ..
اني ابسم للهرة تضطهد الجرذان ..
وافكر في هذا (الآله) الرحيم الذي
لم يقفه كل شيء ..
اني لاحذر الهرة ، كما احذر الفئران ..
اني لاعشق تلك اللحظة التي تهبني الحياة ..
سأسمي تلك اللحظة .. اصغوا اذا ..
سدوا آذانكم جميعاً ..
وافتحوا قلوبكم على مصراعيها :
سأسميها : رفاقي الذين لاعانقهم عن قريب
سأسميها : داري حيث تنتظرني امي
بصبر نافد
سأسميها : رفيقة القيثارات المحطمة ..
سأسميها :

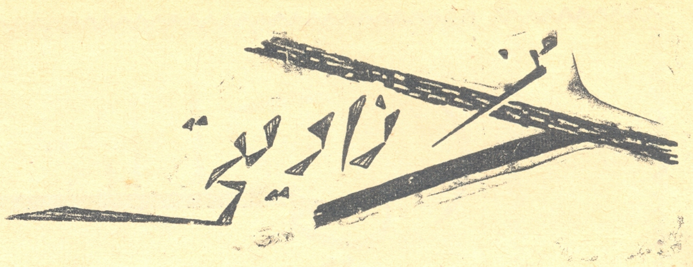
الجزائر

لقد تغنيت بهذا الاسم عندما ولى الشتاء
لم ابدع شيئاً الا اسلوب حياتي
انه شعوري الكامل المترع باليقين
اليك يابلادي سنجتاز الحصى البيضاء
الى « المخاضـــة » سنعبر انهار الظلام
الى « المخـــاضة ».. اتسمعينني جيداً ؟
على الشاطىء ستجد المياه الغريقة
السباحين المنقذين .

(١) شارع رئيسي في باريس .

مالك حداد

من ديوانه « الشقاء في خطر »
يصدر قريباً



الدكتور سامي الجندي

يقول كاتب ناشيء في مقدمة كتاب له : « بعت بيتي والبستان الذي ورثته حتى طبعت هذا الكتاب » . وهل يمكن ان يضحي الانسان من اجل الحرف باكثر مما فعل ؟ ثم ضاع الكتاب في غمرة الاحداث فما يرى له اثر او يسمع عنه خبر لانه عانى بعد خروجه من المطبعة ازمة أعسر من ازمة الطبع هي ازمة النشر .

منذئذ وانا اتساءل عن مصير الكتب التي لايملك صاحبها بيتاً يبيعه او بستاناً تحول اشجاره ورقاً وحبرا ، عن مصير الامكانيات التي تقبر قبل ان ترى النور .

وتساءلت وانا اقرأ في الاهرام عن ازمة المثقفين اكثر من مرة ترى من يعنون بهذه المقالات المطولة ؟.. يعنون المثقفين الذين استطاعوا ان ينشروا وباتت معروفة اسماؤهم ثم ابتعدوا عن المجتمع لسبب او آخر .

اولا يوجد سواهم في وطننا وهل اقتصرت الثقافة على جيل معين واشخاص معينين ؟ في هذا الظن كفر بامكانيات شعبنا وقدرته على العطاء .

ان ازمتهم ليست زوبعة في فنجان لان الازمة هي التي تخلق الادب نعم تمخضت ازمتهم ؟ عن لاشيء !

ان افضل حل لازمة الفكر هو تيسير سبيل النشر لنكشف عن الامكانيات المخبوءة التي تعاني ازمة الحرية الحقيقية : ازمة ان تقضي وئيدة .

من يتطلع الى ما ينشر في البلد يظن ان الضحالة هي طابع المجتمع ، مع ان هذا مناقض لطبيعة الامور .

بلاد العرب تمر بمرحلة ثورية تبلغ التنفيذ احياناً وتقصر احيانا اخرى لان الثورة لم تبلغ اوجها بل لما تتوضح .. تمر بمرحلة سديمية ولا بد للقلم من ان يجلو معانيها لعلها تدرك ذاتها فالادراك شرط اساسي في قضايا الجماهير .

أليس مناقضا لطبائع الامور ان تتمخض الجماهير عن احداث كبرى لا يظهر لها اثر في ادبنا ؟

لقد سبق الفعل الفكر في بلاد العرب في المرحلة الحاضرة فقامت الثورات دون مقدمات فكرية كبرى حتى نتساءل أكان نابليون على حق حين قال : « الثورة فكرة وجدت حربة ترفعها »

انا لا اذهب الى ان ثوراتنا كانت بلا افكار ولكن الح على ان المقدمات الفكرية الكبرى لم توجد بعد ولذلك كان احد وجوهها بل الوجه المهم الاصيل غير موجود فانهارت كثير من الحركات لانها قامت بروح ثائرة غير ثورية .

ولا بد لي من ان افرق بين الثائر والثوري وشتان بين الاثنين .

الاول يدرك الاوضاع الفاسدة فينهد لتهديمها دون ان يكون في ذهنه مخطط المستقبل ولذلك كان خطراً على كل حركة ثورية لانه ينقد كل مايحيط به من اوضاع حتى تلك التي يساهم في ايجادها . نموذجه رجل الشارع الذي رأيناه بعد الانقلابات التي حدثت في سوريا . يملأه الحادث حماساً ثم يتنكر له بعد قليل .

اما الثوري فهو الذي يهدم وضعا وفي ذهنه مخطط لوضع آخر : افكار اعطاه اياها القلم فأخذ على عهدته وضعها موضع التنفيذ ، مثل هذا الجيل لم يولد بعد واذا كان هنالك بعض الثوريين فانهم لم يصبحوا غالبية الشعب وعلينا ان نمهد له السبيل .

لقد قامت انقلابات وليس لديها « الانتلجانسيا » التي تغنيها بالافكار وكان لزاماً عليها ان توجدها ، ان تبحث عنها بين الامكانيات الضائعة التي تحاول ان ترى النور .

قد يقول قائل : اين هذه الامكانيات ؟ ولكن مجرد السؤال فيه عدم ايمان بقدرة الشعب على العطاء ، وخير أن يكون السؤال كيف نستطيع الكشف عن هذه الامكانيات ؟

وفي هذا تبرز مسؤولية الدولة الكبرى ومهمتها الاساسية ، خلق الانسان وتنظيم الجماهير .

الجماهير كتلة خام فيها الخير كله والجمال كله .

مهمة الدولة ان تحمي الانسان وان تحمي نفسها بالانسان الواعي المثقف . اكبر خطر عليها ان يفترق الفكر عن الحكم واخطر منه الا تولد افكار جديدة لان الحكم كالحياة يجب ان يتجدد باستمرار والشعب غني دائماً بالجديد من الافكار كلما ولد انسان ولدت قدرة جديدة فلا بد من ان نمنح شروط الحياة للمولود الجديد .

(يانفسي)

ألاقيك يا نفسي .. متى ؟ واين ؟
ألاقيك مع صمت السكينة .. مع روعة الهدوء ..
مع فراغ الليل .. مع متاهات اللانهاية ..
هناك .. هناك .. في البعيد
تصعدين يا نفسي .. وتصعدين
تتسلقين القمر .. تقطفين النجوم ..
تزرعين الآهات .. تحبسين الانات
تضفرين النسمات ، وتحنين في الظلمات
اين نفسي ، اين امنياتي .. في الاعالي ، ام في الاغوار
انا في مكاني ...
في مكاني .. في وحشتي .. في وحدتي .. في عذابي
في ضياعي .. في حزني .. في انيني وحنيني
انا مع الذكرى .. مع البارحة .. مع الغد
مع الماضي والامل .. مع الحب والغزل
في غرفة بعيدة .. بعيدة
غرفة صامتة .. غرفة مظلمة
فيها انفاس ولهاث .. فيها سكون ونار
فيها لهب واشباح .. فيها احلام وامال
فيها ذكرى .. فيها حقيقة وخيال
فيها الامنية والمحال .. فيها .. وفيها
عودي يا نفسي .. عودي .. القمر بعيد .. بعيد
لا تستطيعين الوصول اليه
لا يغرنك بريق النجوم .. فالاوهام لن تحلكها لك
الآهات جفت ، الانات شحبت والنسمات قست
فغدت رياحاً تقتلع الراحة
انت اقرب منه يانهايه .. فابتعدي قليلا عني
لا اريدك .. لا اريدك

انه املي .. اود الحصول عليه .. اود العب من منهله
اود التمتع بشبابه .. وقوته .. وحبه
انه لي .. لي انا .. أصحيح ما اقول ؟
ما ابعد اوهامي !. ما اطول احلامي
ما ابخل ايامي .. ما اضحل ينابيعي .. وما اجف انهاري
احبه .. احبه .. اريده
انا له ، وهو لي .. فاعطفي يا ايام .. ورفرفي يا عنادل
وزقزقي يا شحارير
احبه .. ويحبني .. مع همساته اضيع .. مع قبلاته اسكر
لهيب النار في الذكرى .. ورعشة القلب في الضلوع
التي يملكها ..
احبه .. احبه ..

* * *

« قف يازمن »

موجة تئن بالتياع ..
في خضم نهر زاخر .. تتقاذفها الامواج ..
تتقاذفها هنا .. وهناك ..
ينساب النهر بين ضفتين حفلتا بكل انواع الجمال
سكون وضجيج .. شمس وظلال
ما اغرب الحياة
صمت يلف الاشجار .. سكينة تعانق الاغصان ..
عبق يسكن الزهيرات ..
ضجيج وصمت .. متناقضان يجتمعان ،، غموض وحقيقة
تنساب المياه ،، وتنساب
زقزقة عصفور شارد تصحيني ،،
لو اسير مع المياه .. ترى ! الى اين مسيرها ؟

كلمات دافئة

كأن عينيك ، وعبرهما
ورعشتا طهر بهدبيها
افقان ، يندي تحت ظلها
كأن هذي الشفة السفلى
وهـذه الخصلة من غرة
وهـذه الخطوة في نقلها
يانجمـة ريفيـة هومت
منثورة خصلاتهـا شردت
تغوى ، تدل على مرابعنا
وألف مشوار بضيعتنا
كأنما يا أخت من عندنا
ياقامـة هيفاء تزهو بهـا

أغنيـة للحب منسيـة
يرف في ترجيعـه الليـة
مـدمرا عينا الربيعيه
من كرزة معطاء ريفية
لنجمة في السفح مرميـة
قفز الدوالي فوق فسقية
على ذرانا ذات امسيـة
عن عالم النجمات ، حافية
تهوي ارتفاف الضوء ليلية
الى دروب الكرام صبحيـة
انت من الدنيا السديميه
تنورة .. خطراء .. سورية

صافيتا - كما ابو ديب

الى نقطة لا تعرف التوقف
الطبيعة في ركود ، والنهر في ضجيج
ما اروع الطبيعة في جمالها .. في صحتها وقناعاتها
اخضرار يمد الامل الى العدم
مسير النهر يذكرك بمسير الزمن .. ليته يتوقف
ليت هذا النهر يصمت ويجمد .. ليت السكينة تكتمل
فراشة تطير .. تحمل على اجنحتها آلاف القصص
تحمل الحياة .. تحمل المرح والفرح
نسيمة عابرة .. حركت جمود الاغصان .. فوهبتها
نغمة عطرة وحفيف ..
كأنه الهمس .. همس شفتين لاهثتين .. عطشانتين ..
ليت اعماقنا تفرغ .. لم نحمل ذكرياتنا في اغوارنا دائما ..
مهما هربنا .. مهما قطعنا المسافات كاننا في دوامة لا تستقر ..
كاننا في نقطة لم ننطلق منها ..

ساعدنا ايها الزمن .. هبنا النسيان .. ولو للحظة ..
لقد اتعبتنا .. واشقيتنا .. وضيعتنا ..
نسيمات مسافرة لا تستقر .. آمال طامحة تتزايد ..
حنين يشتعل بدون فتيل .. اين يموت مع الامس ..
امس طواه الزمن .. رغبة تحتضر ..
بسمة اليك ايها الحاضر ...
ترى ! ستشرق ام سيبتلعك الضباب والحسرة ..
قف يا زمن .. ودعني في نشوة اللحظة ..
دعني في سكرة الامل .. ورغبة الوجد .. في رضا الوجوه ..
ووجوه الرضا ..
ضباب الامس يشيح .. وغصة مقيمة تنزاح ..
تفاؤل وأمل .. دفء ونار .. حنين وشوق ..
خذيني معك يامياه ..
خذيني .. خذيني اليه ..

ام عصام

رحلة اليأس

سعيد قندقجي

وماذا أحس وراء السكون ؟
وماذا يجيء من ... أمره ؟
واين يسير الشراع الحرون ؟
وهول المنية في سيره .

* * *

وكيف تضيع حدود الحياة ؟
وتفنى بأحداقه الوانيه .
فيمضي كأن خيوط النجاة
تطوف بأحلامه الذاويه

* * *

ويبصر في الافق بعض الظلال
تلوح كوهم السراب البعيد
وترقص رقص بنات الخيال
وعاها الضياع بعيني شريد

* * *

فيمخر هذا العباب الرهيب
ليلقى الظلال ليلقى الضياء
ليبسم بعد احتضار كئيب
ليعرف طعماً لمعنى الرجاء

* * *

وتجثو المهالك في دربه
شعاب مهاو ترد خطاه
وتعصر - جذلى - رؤى قلبه
جحيا يعربد فيه مداه

* * *

ويخنق هذا الصراع الخفي
بقايا امان باجفانه
كأن الحياة ظلام عتي
يموت الشعاع بأحضانه

* * *

ويمضي ، ويمضي باسماله
يجر خطاه ... واقداره
ويحمل اكداس اثقاله
جراحاً تعانق اغواره

* * *

وتهتف فيه رياح الوجود
وصوت الفناء وهمس العدم
فتستيقظ الروح بعد الركود
ويصحو الشموخ بوجه الظلم

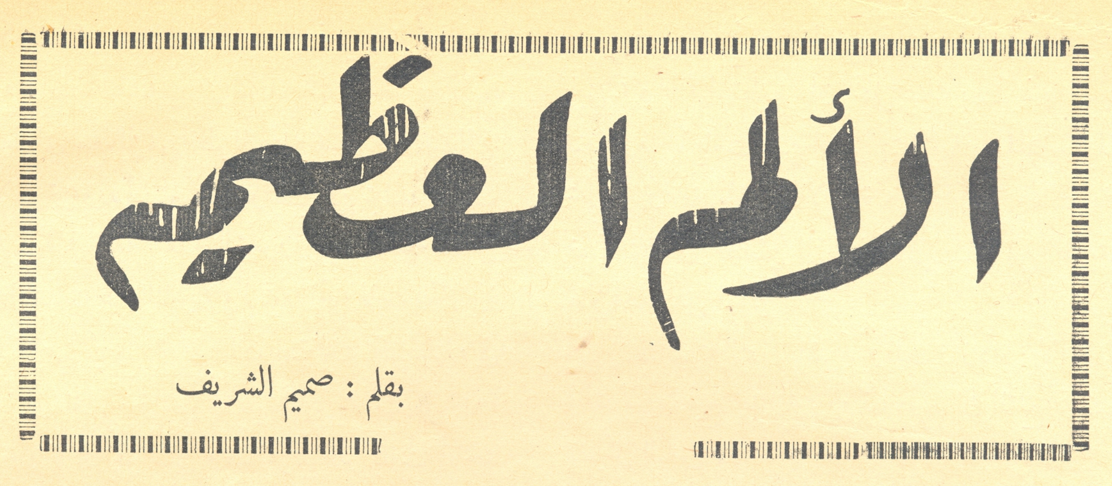
* * *

وينشى الكفاح بأعماقه
وتلتهب الانجم الراقده
كأن الوجود ... بأحداقه
غنائم آماله الخالده

* * *

وحين يسير وراء الشراع
وعصف التمرد في صدره
يضل فيهوى صريع الضياع
ويذرو الفناء صدى ذكره

سعيد قندقجي



كنت اود من اعماقي الا اغادر مدينتي الحبيبة . هذه المدينة الصغيرة التي كانت بيوتها المبنية من الاحجار السود تعطيها جوا خاصا قاتما انفردت به دون سائر المدن الاخـــري ، وكنت اعيش منذ طفولتي على سير الامجاد والبطولات التي اغدقت على كل بيت رائحة عطرة من الورود الكثيرة التي قطفت منها قبل ان يتفتح الربيع عنها ، ولكن لم اعـد اطيق العيش فيها ، فلقد سئمت الاصابع التي كانت تشير الى حاملة معها المعاني المختلفة .. سئمت التحيات المتأففة ، والمجتمعات الخاصة التي كانت تتجنبني . سئمت حتى اقربائي الذين كانوا يجاملونني بكثير من الضيق والتبرم

ان الناس البسطاء الطيبين الذين يعيشون من حولي لايمكنهم ان ينسوا .. لايمكنهم ان ينسوا ابداً لان المدينة لم تستطع ان تؤثر على عاداتهم العشائرية انا نفسي لا يمكن ان انسى لاني منهم ، ولهذا كان علي ان افر من مدينتي الحبيبة .. ان اهجرها الى الابد ، ان اتخذ غيرها وطناً لي وان اتنكر لاسرتي الكبيرة ذات الماضي العريق وان اتخذ اي ايضاً اسماً اغير هذا الاسم العريق الذي ورثته عن الاسرة .. اجل كان علي ان افر من مدينتي هربا من العار الذي سلا زمني اذا بقيت فيها حتى القبر ، ولا ادري فقد يحكم علي شعوري المرهف بذلك الى الابد .

لقد حاول ابي ان يمنعني عن الرحيل ، ولكنه لم يفلح لان الهوة السحيقة التي قادني اليها بنفسه كانت اعمق من ان يستطيع انتشالي منها .. اه اكره هذا الاب .. تمنيت لو لم اكن ابنه ، وكم وددت لو اني استطيع القضاء عليه ، وانا حتى هذه اللحظة لا يمكنني ان افهم كيف استطاع ان يتحمل كل هذا الاحتقار الذي تكنه له المدينة ، ولم استطع ان افهم لم لم ينزح عن هذا العالم ، ويدفن نفسه في حجر لا يسمع فيه تلك الحكايات الطوال عنه .

انا ابن خائن .. اجل ابن خائن .. هـــذا هو النداء الذي يتردد على مسامعي منذ طفولتي .. من طلاب المدرسة ومن بعض المـــدرسين .. ومن اكثر الناس الذين اعيش بينهم من اقربائي انفسهم .

ـ هذا ابن الخائن ابراهيم ..

ما ذنبي انا هل اقترفت شيئا بحـق هؤلاء الناس الطيبين لاعامل هكذا ؟! الحقيقة ان لم اقترف جرما ما . ولم ارتكب شيئا اخجل منه اللهم سوى اني ابن ذلك الرجل الذي باع قومه للشيطان وكنت كثيراً ما اسائل نفسي قبل ان ازمع على الرحيل : احقا كان على صلة بالاعداء ؟!

وهل ساعدهم ضد المناضلين كما يزعمون ؟!

ولم اجد تفسيراً لهذه الاسئلة التي كانت تضـج في رأسي ، وتثقل صدري ، وايقنت اخيرا بان ابي هو الوحيد الذي يستطيع ان يوضح لي كل هذه المعميات . فذهبت اليه ذات مساء وكان جالساً على مصطبة الدار الوحيدة يقرقر في نرجيلته ويرسل من فمه دخانها في انفاس متلاحقة . وحاولت ان ابحث معه الامر فارتج علي ولم استطع ان ابوح له بما يرهق اعصابي ، لان قذارة التهمة لم تكن هي وحدها التي جعلتني استنكر تلك القصص التي يتداولها الناس فيما بينهم ، ويورثونها لاولادهم واحفادهم لان ابي كثيراً ما كان يحدثني عند ما كنت طفلاً ويروي لي الشيء الكثير عن الثورة والمعارك التي خاضها هو نفسه الى جانب الثوار من اجل تحرير الوطن من الفرنسيين فكيف يكون خائناً ؟! او هل

يعقل بان يكون عميـــلاً للمستشار الفرنسي بعد استتاب الحكم لهؤلاء !

ولاحظ ابي مع الزمن انطوائي على نفسي ، وانزوائي عن افراد الاسرة ، وبدأ يشعر باني راغب عن مجلسه عازف عن رؤيته ، وتفاقم لديه هذا الشعور حين انقطعت عن الدراسة ، وابتعدت عن الناس ، ولم تجد المحاولات الكثيرة التي بذلت لاقناعي بالعودة الى الدراسة بات كل شيء في المدينة بغيضاً الى نفسي رغم حبها الشديد الذي يتملك كل خلجة من خلجاتي ، وكانت عواطفي ومشاعري قد بلغت أوجها حين قررت قطع صلتي بعالمي الذي اعيش فيه لعلي أجـــد الراحة في العالم الخاص الذي ساخلقه لنفسي عند ما اذهب بعيدا ، الى مدينة اخرى نائية لاتعرف شيئاً عن ابي ولا تردد كالقضاء .

ـ هذا ابن الخائن ابراهيم .

* * *

كنت في غرفتي احزمت امتعتي للرحيل حين وجدت امامي فجأة ابي منتصباً بقامته المديدة التي لم تشوهها السنوات يفحص ، امتعتي القليلة واثاث الغرفة النفيس بعينيه اللتين غشي بياضها لحم احمر ثم قال بصوت خافت وهو يحدق في .

اذن عزمت على مفارقتنا !

فاجبته وانا اتظاهر بجمع بعض الحاجيات . اجل :

فقال وهو يقتعد كرسياً صغيراً بجانب الباب : وهل ستطول غيبتك ؟! فقلت متحديا وانا التفت اليه : لن تروني بعد اليوم . لن ارجع ابداً ، ولـــن تسمعوا عني خبراً .

فأخرج علبة تبغه واخذ يلف لنفسه واحـــدة ببطء وهو يقول .

ـ هل اساءاليك احد يابني لتهجرني هكذا دون سبب ؟!

فصحت مقاطعا حديثه باستنكار : دون سبب ؟!

فنظر الي متأملاً كأنه يحاول سبر غوري ، او كأنه ادرك ما يجول في خاطري ثم قال :

ـ اذن فهناك سبب لهذا الرحيل المفاجىء ! . ترى هل يمكنني ان اسألك عنه ؟!

وكدت انفجر مرة واحدة ولكني آثرت الصمت ولم احر جوابا .

ولما وجدني صامتا تابع قوله ببطء : لقد اصبحت شابا يابني ، وانا لااستطيع ان اتخلى عنك بهـــذه السهولة التي تتصورها انا بلغت من العمر عتيا ، لهذا احتاج اليك لتحل محلي في رعاية شؤون الاسرة ، فاذا كان هناك مايزعجك فيمكنك ان تطمئن الى اني سأزيـــل من طريقك كل مايزعجك من امور .

فنظرت اليه ساخراً وقلت بازدراء : لا .. لا يا ابي انك لاتستطيع ابداً ، ولن تستطيع ان انقلع ذلـــك من نفوس الناس ..

لا ادري كيف تفوهت بذلك ، ولا ادري كيف غصت الكلمات الاخرى التي كنت مزمعا على قولهـــا في حلقي ، ورأيت وجه ابي قد احتقن واربد ، وعلاه الاحمرار وقست نظراته فجأة ، فنهض عن كرسيه واقترب مني ، ورفع يده يود لو سحقني بقبضة يده ، ولكنه احجم في اخر لحظة وترك يده تتهاوى الى جانبه ثم قال بعد فترة صمت وهو يذرع الغرفة .

ـ حتى انت يابني .. حتى انت .

وطأطأ رأسه ، وعاد الى جلسته السابقة ، واخذ يلف لفافة اخرى وهو (يتمتم) بكلام مفهوم .

اذن من اجل هذا ستهجر المدينة ، وتتنكر لاسرتك أأنت الآخر بت تعتقد باني خائن ؟!

وهممت بالرد عليه ولكنه لم يترك لي فرصة الكلام فقد كان يتدفق في الحديث باضطراب .

ـ اذا كان هذا رأيك في فأنا لن الومك ابداً بل انصحك بان تغادر هذا البيت فوراً ، ولكني مع هـــذا اريدك ان تعلم شيئاً واحداً ، هو اني لم افعل الا ما ارتأيته صوابا ، وانا لاأريـــدك ان تحمل حقداً في قلبك ، ثق بقولي يابني فانا أبوك .. وتشجعت حين رأيته يدخن بعصبية ويحملق بذهول في فضاء الغرفة فقلت له .

ـ ثق يا ابي باني لن اجاملك اطلاقاً ، واعلم بـــاني ساحقد عليك ماوسع قلبي الحقد ، طالما كنت في حياتك عميلاً للفرنسيين ، هل تظنني حجراً لايعي ولايسمع مايقوله الناس ، هل تعتقد باني تركت الدراسة حبا في تركها ، واعتزلت الناس رغبة مني في اعتزالهم ؟!

لا .. لا يا أبي، انا احب الجميع، الناس البسطاء .. رفاق المدرسة .. هذه المدينة وكل ما فيها .. اجل احب جميع هؤلاء الذين اساؤو الي بسببك انت، لاني سئمت يا ابي .. سئمت ما يقوله الناس . هذا ابن الخائن ابراهيم

لقد عزمت على الرحيل، ولن اعود ابدا، ولا يثنيني عن عزمي احد، سأرحل دون ان اعرف الحقيقة منك كي لا أجرح شيخوختك، ولا اقول كرامتك، لان الخائن ليست عنده كرامة، او اذا شئت الدقة ليس له من الاخلاق مايدافع عنه .

وأدرت ظهري دون ان اتم حديثي لاني عجزت عن مواجهة نظرات أبي المتوسلة، وانتابني الاضطراب انا الآخر فأخذت اعبث باشيائي وأرتبها دون وعي .

وتناهى الي بعد قليل صوت ابي وهو يقول بغضب: اذن هكذا يلقبونك . ابن ابراهيم الخائن ! فهززت رأسي دون ان التفت نحوه ثم قلت : أتدري ماذايعني هذا عندي؟

فقال مستفهما : لا . ؟ !

فأجبت هازئا : ان الفاره لاتلد الا فارا، والخائن لاينجب شريفا، هذا مايفهمه الناس هنا، وأنا مهما فعلت فلن اكون بنظرهم اكثر من ذلك .

ولم يجبني هذه المرة مباشرة، ورافني ان ارقب حركاته المضطربة . كان يعبث بشعر عارضه الاشيب، وقد حجبت الدموع التي ملأت عينيه لحم بياضها الاحمر . وبدا لي كأنه غارق في محنة قاسية لايدري كيف يتخلص منها، وكأنه وجد متنفسا لما يعاني فقال بعد ان تريث برهة وكأنه يحدث نفسه : اقترب يابني . اقترب واجلس بجانبي لاروي لك كل شيء . اجل سأحدثك بكل شيء فاذا مارتأيت بعد ذلك الذهاب فثق باني لن امنعك . اقترب . ارجوك ان تقترب واتخذت مقعدا لي بجواره، وكلي ثقة بانه سيحدثني الحديث الذي اريد ولكن بعد ان يجرده من كل مايدينه قال وكانه يجمع شوارد افكاره .

كان ذلك قبل ولادتك بامد طويل، وكان الفرنسيون قد احتلوا البلاد واخضعوها لحكمهم بعد ان قضوا على الثورات غير المنظمة التي نشبت ضدهم، وانتظرنا ان تزول فترة الانتداب من تلقاء نفسها ولكنها لم تزل، وشعر الناس بان هؤلاء لن يكونوا خيراً من اسلافهم الاتراك فقر الرأي على اشعال نار الثورة ضدهم، وكنت انا واحدا ممن وقع عليهم الاختيار لاكون من قادة الثورة .

واشتعلت الثورة فجأة في كل البلاد، واستطاعت قوى المستعمر الشريرة ان تقضى عليها الافي جبهتين غوطة دمشق، وجبل العرب .

وتوالت انتصاراتنا في الجبل واستطعنا في معركة (المزرعة) ان نهزم الفرنسيين هزيمة منكره، وان نسيطر سيطرة تامة على كل المناطق المتاخمة للجبل .

وصمت قليلا، واخذ انفاسا متلاحقة من لفافته ثم تابع روايته فقال :

وجاءت الاخبار من مناضلي حوران بان العدو يجمع قوى كبيرة في بلدة (المسضرة) المتاخمة لحدود الجبل استعدادا لتطهير الجبل من المناضلين .

وتوقف ثانية عن الكلام ليجمع انفاسه، وقد ازاداد اضطرابه . وشحب وجهه، وعلاه الاصفرار وخيل الي في تلك اللحظة انه يعاني شيئاً عميقاً في ذاته، على انه استمر في حديثه بعد ان امتص نفساً اخيراً من لفافته ورمى بها الى الارض : واجتمعنا الى قائدنا، واتفق الراي على ان نباغت العدو، وان نقضي عليه مرة واحدة كما فعلنا في موقعه المزرعة علنا نتم ذخائره ومعداته الثقيلة التي كنا نفتقر اليها كثيراً .

وسرينا في الهزيع الاول من الليل، وكان الفجر على وشك ان ينبثق حين استطعنا ان نطوق بلدة المسيفرة من كل جهاتها ..

وتوقف قليلا وقد بلغ انفعاله الاوج ثم اردف : وبغته وقبل ان تحين ساعة الهجوم بدقائق دوى صوت قنبله مضيئة من صفوف العدو، فكشفت انوارها مراكزنا واعلنت في الوقت ذاته ابتداء المعركة .

لا اريد يابني ان اخوض في وصف المعركة، ولكنني احب ان افيدك بأننا لم نهزم في هذه المعركة كما يزعمون، لقد اوقعنا في صفوف العدوا خسائر جسيمة، ولكنها لم تؤد الى النتيجة التي هدفنا الى تحقيقها .. كانوا اكثر منا عدداً، فلم نستطع الصمود، واضطررنا للانسحاب ومن هنا تبدأ قصة الخيانة التي يزعمون .

من صفحات الادب الاسلامي

اقاصيص التشرد وكتاب لاثاريو دي تورمس

بقلم : الدكتور نادر العطار

اصبحت روايات التشرد واقاصيصه في الادب الاسباني سجلا هاما للعادات والتقاليد الاسبانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ذلك العصر الحاسم في تاريخ البشرية الحديث الذي تميز بثلاثة وقائع هامة : اختراع الطباعة ، والاصلاح الديني ، والتغلغل في العالم الجديد .

وكانت اسبانيا آنئذ تحتل مركزا مرموقا في العالم ، حتى اعتبر ذلك العصر عصرها الذهبي من الناحيتين السياسية والفكرية ، فقد كان غزو المكسيك سنة (١٥٢٠) الذي تبعه غزو (البيرو) و (الشيلي) واستطاع فيليب الثاني بعد ذلك ضم البرتغال الى اسبانيا مع جميع ممتلكاتها البحرية الواسعة ، فاصبحت الشمس بذلك لا تغيب عن الاراضي الاسبانية التي تألفت من شبه جزيرة ايبريا باكملها واميركا المكتشفة والاراضي المنخفضة وصقلية وبعض الاراضي الايطالية .

كيف كان الاسبان يعيشون في موطنهم الاصلي خلال هذه الفترة من العزة الشاملة ؟

كان المجتمع الاسباني آنذاك يتألف من رجال الدين والنبلاء وطبقة العامة من الشعب التي كانت تعرف اسرار

لقد كنت انا - يابني - الذي وضع خطة الهجوم فلما فشلت زعموا اني كنت متفقاً مع الفرنسيين على ذلك ، فهل يعقل ان اقوم بعمل حقير كهذا ؟ ! اسأل قائد الثورة اذا كنت لا تصدقني فهو وحده الذي يستطيع ان ينصفني .

ونهض واقفاً وهو يقول : هذا كل ماعندي ازجيه اليك دون نقص فاذا كنت مازلت مصرا على الرحيل فهذا شأنك ، ولكني ارجوك ان تتمعن في ما قالته لك الآن .

وكنت قد وقفت بدوري عندما وصل الى هذا الحد ورمقت ابي بنظرة باردة وقلت له باحتقار : لم لم تذكر يا ابي بانك انت الذي اطلق ذلك الضوء الكشاف الذي فضح مراكز المناضلين ؟! لماذا تتكلم عن صداقاتك للفرنسيين ، لماذا لم تتطرق الى ذلك ؟؟ اتخشى ان اسيء اليك باكثر مما اساء اليك ماضيك ؟! اتخاف الاعتراف بذلك لابنك اتخشي على خيانتك من ابنك ؟! لقد توقعت منك كل هذا السيل البراق الحديث . اكان الذهب هو الذي اغراك .. اكان الجشع هو الذي . -

ولم يدعني اتم كلامي فقد انقض علي ابي كالمجنون ، وانهال علي صفعاً وضرباً دون وعي ، ثم توقف وكأنما هاله ما اقدم عليه ، او ندم على مابدر منه ، فنظر الي ولم يستطع ان يقول شيئاً فادار ظهره وركض مهرولا خارج الغرفة بعد ان صفق الباب خلفه بعنف .

• • •

حين انطلقت في السيارة بعيداً .. بعيداً عن المدينة . احسست بان السماء وهبتني الى الحياة من جديد . وان كل ماكان يصلني بالماضي قد انقطع ، وايقنت بأن الحزن الذي يغمر قلبي ليس الا لاني فقدت رؤية مدينتي الحبيبة ، واهلها الطيبين واحجارها السوداء القائمة الى الابد ، وكان لابد للدموع من ان تحجب عن عيني مدينتي وهي تتلألأ في قلبي ، وكان لا بد للخيانة وعارها من ان تبددها وتغسلها من نفسي هذه الدموع المتفجرة من قلبي .. ومن قلبي وحده .. وداعا .. وداعا يا ابن الخائن ابراهيم والى الابد ..

الطبقتين السابقتين عن طريق الخدمة الخاصة والمنزلية ،ومن هنا نشأت الفكرة عن رواية حياة المتشردين . وكانت قصة (لاثاريو دي تورس) الاولى من هذا النوع من الادب الواقعي الهجائي للمجتمع الاسباني في القرن السادس عشر ، ولذلك تمتعت بشعبية عظيمة وكان لها اثر كبير على الجماهير المختلفة .

والقصة تدور حول فتى تعيس الحظ (هو لاثاريو نفسه الذي ولد على ضفاف نهر التورمس) يروي قصته بنفسه باسلوب ساس لذيذ ، بعد ان خدم على التوالي شحاذا اعمى ، ثم راهبا كنسيا ، ثم فارسا نبيلا الخ .

وهكذا يستعرض مختلف طبقات المجتمع ، فاضحا اسرار كل منها ، وكلما ترك سيدا الى خدمة سيد آخر ، ظانا انه قد انقذ نفسه ، وقع فيما هو اشد واقسى من سابقه ، حتى نجح اخيرا في ان يصبح بائعا حرا للنبيذ ، فيجمع لنفسه بعض الثروة ، وينعم بالحياة الزوجية المستقرة .

ولا يؤخذ لاثاريو بالعاطفة الدينية التي كانت متأججة آنئذ في شبه الجزيرة الايبرية كرد فعل للحكم العربي ، لانه يتكلم عن خدمته للراهب بصراحة تصل احيانا الى حد المبالغة ، يبدأ حديثه عنه — وكان قد هرب لتوه من خدمة الاعمى — بقوله (... ولكني استجرت من الرمضاء بالنار) ثم يتحدث عن بخله الشديد ، وكيف كان يضع كل ما لديه من طعام في صندوق مقفل ، دون ان يعطيه منه الا النذر اليسير ، حتى يضيق الطفل ذرعا به ، ويغتنم فرصة غياب سيده ، فينادي بائع اقفال كان مارا من هناك ، ويدعي ان سيده اضاع مفتاح هذا الصندوق طالبا منه ايجاد مفتاح ثان له ، وتنطلي الخدعة على البائع ، فيجرب ما لديه من مفاتيح حتى ينطبق احدها على القفل ، ويعطيه للطفل الخادم الذي يمنحه اجرة يومه السابق .

وهكذا يشرع في فتح الصندوق كلما غاب سيده ، فيأكل ما يشاء ، فلما ابتدأ السيد يشعر بنقص الخبز ويعده قبل ان يخرج ، اخذ الطفل الخبيث يقتطع من كل رغيف فتاتا صغيرة كما تفعل الجرذان والافاعي ، وفعلا اعتقد سيده بان في المنزل افعى ، واخذ يتحين الفرص لقتلها ، حتى كان ذلك اليوم الذي نام فيه لاثاريو بعد العشاء كعادته وهو يعبث بمفتاحه السري في صدره ، ثم يضعه بحركة لا شعورية على فمه بينما كان يغط في نوم عميق ، الامر الذي جعل لتنفسه صفيرا خاصا (بسبب وجود المفتاح على فمه) قام على صوته سيده الراهب معتقدا انه صفير الافعى التي تأكل خبزه وزاده من الصندوق ، واهوى بعصاه الغليظة في الظلام الدامس على المكان الذي يصدر منه الصفير ، فصاح لاثاريو من الم الضربة على فمه ، واغمي عليه ، فلما استفاق كان سيده قد اكتشف السر ، وابلغه انه لم يعد بحاجة اليه .

وتتخلل القصة نكات طريفة ، يروى مثلا انه بعد ان طرده الراهب استقر في خدمة فارس نبيل من طليطلة استهوته بزته ومشيته وهنأ نفسه على مصادفته ، حتى وصل الى البيت الذي بدا له قصرا منيفا من الخارج ، فاذا هو من الداخل منزلا خربا خاليا خاويا ، يعيش صاحب — سيده الجديد — على الكفاف ، وانه خرج — اي لاثاريو — الى الشارع ذات يوم ، فاذا به يصادف جنازة تسير وراءها بين السائرين ، امرأة تعول وتصيح (... الى اين يأخذونك يا سيدي وزوجي العزيز ؟ انك ذاهب الى البيت الحزين التعيس ، الى البيت المظلم الخالي ، الى المقام الذي لا يأكل الناس فيه ولا يشربون ...) فقال لاثاريو لنفسه (انهم يأخذون هذا الميت الى بيت سيدي حتما) ثم اسرع الى البيت ، فاغلق الباب بالمزلاج ، واخبر سيده بان جنازة كبيرة تتجه الى بيته !

وهكذا ينال الكاتب بالنقد جميع طبقات المجتمع ، فاضحا دخائل كل منها ، مصورا اسرارها بشكل واقعي هجائي ، واسلوب شعبي مفهوم للجميع ، في جمل سريعة متقطعة ، وعبارات رصينة ، مع دقة في الملاحظة ونوع من التحليل النفسي الذي يلذ لكل قارىء ، بحيث اصبح الكتاب في وقت من الاوقات ، كتاب العصر ، اقتناه العامل والنبيل ورجل الدين والفلاح ، ليطلع على اسرار الحياة الداخلية للطبقات الاخرى في المجتمع الذي كان يعيش فيه .

اما كاتب القصة فمجهول ، وقد فشلت حتى الآن

جميع المحاولات لمعرفة شخصيته ، ولعله لم يفصح عن اسمه نظرا لشدة الهجاء الذي يتناول به رجال الدين في عصره ، حتى امر فيليب الثاني بمنعه ومصادرة نسخه ، ولكنه ظل بالرغم من ذلك ، منذ ان ظهر سنة (١٥٥٤) ، مثلا جميلا عن ادب القصة الواقعية ، التي تروي حياة المتشردين من الناس ، وتصورهم بمظهر الانسان الذي يتعذب ويتحمل كل مض في سبيل لقمة العيش التي هي همه الوحيد . لا يبدو المتشرد في هذه الاقاصيص مجرما ، ولا سارقا ، بل يبدو انسانا جائعا يطلب رزقه ، ويدفعه المجتمع القاسي الى كسب هذا الرزق بالمراوغة حينا وبالاحتيال حينا آخر حتى اذا انكشف امره وافتضحت حيلته ، ترك سيده ليدخل في خدمة سيد آخر من طبقة اخرى .

لقد كانت قصة (لاثارو دي تورمس) لازمة للادب القصصي الواقعي في عصر اسبانيا الذهبي ، وقد سدت فعلا تلك الثغرة ، وابتدأت منها سلسلة من الاقاصيص تظهر تباعا مثل (عثمان الفراش) و (المتشردة الحسناء) الخ .. حتى فقدت مزيتها الاساسية وملأتها الخيالات والمبالغات ، فزالت من تاريخ الادب ليحل محلها ادب القصور والبلاط الملكي .

وفيما يلي بعض المقاطع عن مرافقة (لاثرو) للسائل الاعمى ، كمثل حي عن هذه القصة الممتعة :

.. وقد حدث ذات مرة ، وكنا نمر بمكان اسمه (المروج) ، (١) عندما كان الناس يجمعون العنب من الكروم ، ان تصدق بعضهم على رفيقي الاعمى بعنقود من العنب ، فقرر هو ان نأكله حالاً لاستحالة حمله معنا ، فامرني بالجلوس :

— اسمع يا لاثرو ، اريد ان اعاملك الآن بمنتهى الكرم والسخاء ، وذلك بان نأكل معاً هذا العنقود من العنب ، بحيث ينالك منه ما ينالني من نصيب ، فتقتطع انت حبة منه واقتطع انا حبة اخرى ، حتى ينتهي ، وبذلك لا يكون احدنا قد غش الآخر او خدعه .

وفعلا بدأنا ، ولكن الخائن غير رأيه بسرعة ، واخذ يقتطف من العنقود حبتين حبتين بدلاً من حبة واحدة ، الامر الذي جعلني احذو حذوه ، بل واتعداه فآخذ ثلاثة حبات بدوري بدلاً من اثنتين ، فلما انتهى العنقود ، امسك برمشه قليلا ، وهز برأسه ثم قال :

— لاثرو — لقد خدعتني ، اقسم بالله انك كنت تأكل ثلاث عنبات كل مرة بدلاً من عنبة واحدة .

— لا يا سيدي ، لم افعل ، لماذا تشك في ذلك ؟

فاجابني الاعمى الخبيث :

— لانني كنت آكل العنب حبتين حبتين ، ولم تعترض انت على ذلك .

وكنا مرة أخرى في اسكالونا ، عند ما اعطاني سيدي النقود لاشتري بها نبيذاً ، بينما كان هو يشوي قطعه شهية من النقانق ، تاقت اليها نفسي لعلمي بانه سيستأثر من دوني ، واغراني الشيطان وكنا وحيدين والى جانبنا قطعة من اللفت متطاولة الشكل صغيرة الحجم ، وبينما كان يمد يد الى جيبه ويستعين باليد الاخرى ليخرج لي ثمن النبيذ ، نزعت المقانق بخفة من سفودها ، ووضعت مكانها قطعت اللفت ، دون ان اقدر ما يمكن ان ينتج عن ذلك او ما عساه ان يصيبني من جرائه .

وتناول سيدي الاعمى السيخ ثانية وشرع يقلبه على النار لاكمال الشواء ، بينما ذهبت انا لشراء النبيذ ، ملتهما بسرعة قطعة المقانق في الطريق ، فلما عدت ، وجدت الاعمى الضال ياخذ بقطعة اللفت — ولم تكن قد سخنت بعد — بين شطري رغيف من الخبز ، ويعض بانيابه عليها ليحصل على اكبر قسم من المقانق ، فاذ به يجد في فمه خبزاً بارداً ، ولفتاً قاسياً لم يكتمل دفؤه بعد ، فتجهم وجهه وقال : — ما هذا يا لاثرو ؟

— يالتعاستي ياسيدي . اذا كنت تريد ان تتهمني بشيء ايضاً .

ألم اتي لتوي من حانوت النبيذ ؟

لا بد ان احدهم مر هنا وفعل هذا من قبيل التهكم والمزاح .

---

(١) يلاحظ انها كلمة عربية .

فقال : ـ لا ، لا ، انني لم اترك الشيخ من يـدي لحظة واحدة ، هذا غير ممكن .

فعدت الى القسم والايمانات المغلظة بانني لست فاعل ذلك ، واذا به يقرب مني ، ويشمني ، ثم يفتح فمي الى حد كاد معه ان ينشق ، ويدخل فيه انفه الذي خيل الي ان طوله قد ازداد شبراً كاملاً محاولا ان يشم فيه رائحة المقانق التي لم تعب عنه .

وانتابني خوف شديد ، لم يكن الوقت القصير الذي مضى على التهامي المقانق كافياً لاستقرارها في جوفي ، فلم يكد الاعمى يخرج (خرطومـه) من فمي ، حتى كانت معدتي تقذف في وجهه بالمقانق مع كل السوائل التي اختلطت بها دفعة واحدة .

يا الهي ما اشدهول تلك الساعة التي جعلتني كالاموات امتلكه غضب شديد ، وانقض علي كالثور الهائج ، ولو لم ينقذني الناس من يده في الوقت المناسب لما كنت الآن على قيد الحياة .

.. وخرجنا ذات يوم الى المدينة لطلب الصدقة ، وكانت الامطار تتساقط بغزارة منذ الليلة الفائتة مما اجبرنا على السير في ممر مقبي يستند الى اعمده ضخمه لاتصل اليه المياه المتساقطة ، وكان الليل قد بدأ يرخي سدوله ، فقال لي الاعمى :

ـ يا لاثرو ، ان هذه المياه عنيدة متواصلة ، وكلما اقبل الليل اشتد سقوطهـا ، فلنعد الى النزل باكراً نلتجيء اليه .

ولما كان الذهاب الى هناك يستدعي مرورنا بمجري ماء كانت مياهه تزداد غزارة كلما اشتدت الامطار ، فقد قلت له : عماه ! ان هذا الجدول يزداد عرضاً ، فاذا احببت فسأبحث فيه عن مكان ضيق نستطيع العبور فيه دون ان تبلنـا المياه .

فاعجب بالاقتراح واثنى عليه ، ورايت ان الامور تجري وفق رغبتي ، وكنت قد قررت تركه نهائياً لشدة ما قاسيت من الاعيبه وقسوته ، فاقتدته خارج الممر المقبي الى العراء امام عمود من الحجر ، كان في ساحـة المدينة وقلت لـه :

ـ هذا هو اضيق ممـر يوجد في الساقية التي علينا ان نعبرها .

وكانت الامطار تهطل بغزارة وتبلل المسكين حتى العظام ، مما حمله على الاسراع في الهـرب من تلك المياه المتساقطة فوقنا ، والاهم من ذلك ، ان الله اعمى بصيرته في الساعة ، فصدقني ووثق بي ، ووضعته بدوري امام العمود تماماً ، ثم قفزت امامه وقلت له :

الآن ، اقفز بكل ما تستطيع من قـوة لئلا تبتل بميـاه الجدول .

فرجع المسكين خطوة الى الوراء متحفزاً ،واستجمع قواه ، ثم قفز بشدة الى الامـام ، فارتطم رأسه بشكل فظيع بالعمود الذي سمع له رنينه كالجرس واسقط الى الوراء نصف ميت وقد انشق رأسه وتراكض الناس اليه .

اما انا فقد اتجهت الى باب المدينة راكضاً ، واناارد (ـ كيف شممت رائحة المقانق ياسيدي ولم تشم رائحـة العمود ؟ الآن ثم اذا استطعت الى ذلك سبيلا) .

ولم يصلني بعد ذلك شيء من اخباره ، ولم احاول انا تسقط تلك الاخبار . الخ ..

فنون والوان

الانجاز التام لاعمال معهد الفنون التطبيقية في برلين!

في المانيا الديمقراطية يسعى المرء جاهدا لانجاز شكل احسن للبضائع الاستهلاكية إن التشكيل الفني للسلع الاستهلاكية الصناعية هو من عمل معهد الفن التطبيقي في برلين . والطرق التي يتبعها المعهد كثيرة الفروع فانها بتنسيق الابحاث العلمية وصناعة النماذج تقدم عملاً مجدياً المصانع ويدعم هذا النشاط بالنشرات العلمية الشعبية .

وكذلك فان الفن الصناعي الذي يحظى باهمية متزايدة يلقى الملاحظة والتشجيع ما امكن من قبل المعهد . ويعمل المعهد جنبا الى جنب مع الجامعات والمدارس التكنيكية وله تأثير على الطلاب المتمرنين والعاملين الذين انهوا دراستهم وذلك لضمان إناس اكثر خبرة ومهارة في اعمال « الشكل الفني الصناعي » . ومن اجل تقدم العمل العلمي والعملي ينشر المعهد عدة مقالات تعالج المسائل المهمة في نظرة الماركسية الى الجمال .

وقد ساهم كثير من الكتاب المشهورين في الكتابة عن مميزات « الشكل » وعن تاريخ وقوانين علم الجمال والديالكتيك والمادية والانسانية .

ومنذ سنة ١٩٥٦ ينشر المعهد كتاباً سنوياً باسم



طلاب اكاديمية معهد الفنون التطبيقية في المرسم

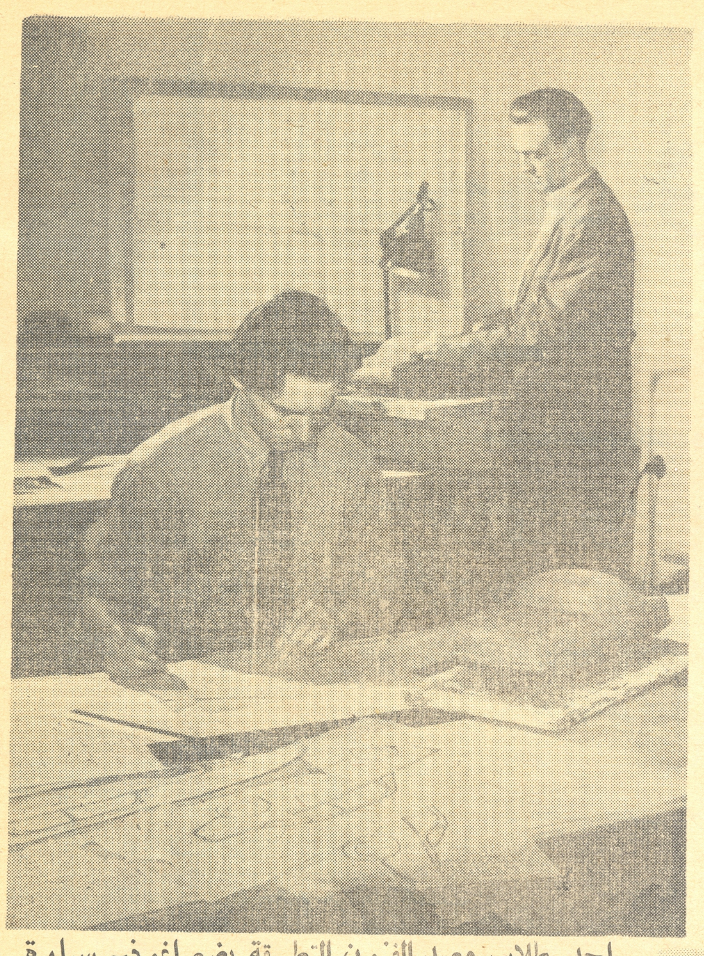
« الشكل والهدف » . يتضمن مناقشات ومقالات علمية حول تطور الصناعة والفن الصناعي .

ان العمل الجماعي « الشكل والهدف » . إن هو إلا صفحات فريدة من نوعها نظمت حسب الأصناف

المختلفة للسلع تظهر مرحلة تطور الفن الصناعي في المانيا الديمقراطية وتقدم في نفس الوقت احتمالات جلية للمقارنة. وقد ظهرت إلى عالم الوجود من خلال هذه النشرات علاقة وثقى بين النظرية والتطبيق، بين العلم والانتاج والمستهلك. واكثر من هذا نظم المعهد عدة معارض لمختلف مجالات الفن التطبيقي في المانيا والخارج. وخدمت هذه المعارض الهدف الداعي إلى نشأة فنانين خبراء ومن السكان في الانتاج وهيأت لهم الفرصة للتمرين والمناقشة حول نوعية وعلاقة السلع المعروضة ببعضها. وقد نشرت عدة تقارير في الصحف اليومية والنشرات الدورية الخاصة عن الراديو والتلفزيون خدمت نفس الهدف.

إن قسم الايضاح في المعهد هو المركز الرئيسي لجمع واستعمال الصور والنصوص المكتوبة في مجال الفن التطبيقي.

والهدف الرئيسي لمعهد الفنون التطبيقية في مرحلة التطور الاقتصادي هو تحقيق متطلبات الجمال في الشكل الصناعي الذي لا شك فيه يجب أن يكون له تأثير اكيد في خطط جمعيات معامل الشعب (ف. ف. ب.) وبهذا فان الاعتناء بالشكل الذي هو ضروري للبضائع يجب ان

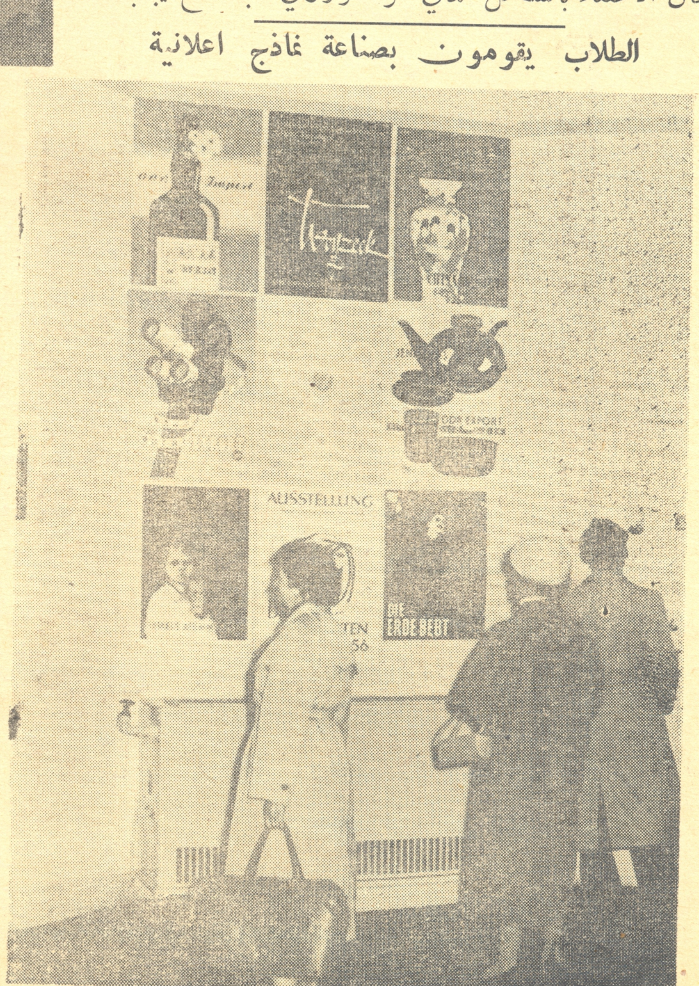


احد طلاب معهد الفنون التطبيقية يضع انموذج سيارة

لا يعتبر عملا إضافياً بل يجب ان يصبح جزء من خطة الشعب الاقتصادية. وفي الـ (ف. ف. ب) تصنع السلع الاستهلاكية من صفائح الحديد والبضائع المعدنية. ومن هذا التركيب الفني اصبح التخطيط الجمالي والاقتصادي واسع الانتشار.

وبناء على احتياجات المعامل والخبراء العاملين بها فان اعضاء هيئة معهد الفن التطبيقي يقدمون التوجيه في مختلف المجالات حتى ان كثيرا من خبراء المصانع يعدون تصاميمهم في المعهد. وعندما توجد اعمال تتطلب الخبرة او ذات طابع مهم يقدم اعضاء المعهد انفسهم النماذج الصناعية اللازمة. ولكن الغاية الأساسية للمعهد لا تنحصر في تقديم النماذج والتصاميم الصناعية لمختلف فروع الانتاج بل تتعداها إلى الاشراف على هذه النماذج ومن ثم تهيئة الفرصة للمصممين الأكثر كفاءة للعمل في المعامل بشروط عمل عادلة اوللعمل بشركات مع المعهد. كما ان كفاءة اعضاء الهيئة الادارية للمعامل والأعمال اليدوية والتجارية تشجع بانتظام من قبل المعهد وذلك بالقاء المحاضرات والاجتماع بالخبراء والدراسة والرحلات الاستطلاعية.

الطلاب يقومون بصناعة نماذج اعلانية



القحط في السلمية

الحقل يا بلد الجنان
الحقل يا كف العطاء وأغنات الخيرين
الحقل عريان حزين
ليبكي أكف العاملين
الزارعين القطن والقمح المذهب
والحاصدين الخير في البلد الأمين
الحقل عريان حزين
يا بلدة بالطيب والأحلام مرتعها مخضب
أين الندى ؟
أين النضارة في الغصون ؟
أنظر الى شبح القنوط على وجود اليائسين
فالمعول المسكين ينبش الثرى
ظمآن ينبش لا يعي
والساعد المفتول يحفر
يهوي على أرض تضن على شقاء العاملين
والصمت أطبق .. والوجوم
والريح تصفر في النجوم
والعين تنظر للغيوم
والقلب يخفق ثم يخفق في رجل
والشمس تشرق ثم تشرق لا أمل
والماء غاض ومن يجيء الى بالماء المعين

• •

الحقل يا بلد الجنان
الحقل يا بلد الجداول والمساكب
ظمآن يلهث كالجريح
والسهل أغبر لا عطاء ولا مكاسب
تسفو ثراه جوانح من كل ريح
وتثيره كقلوع أشرعة المراكب
والعامل المسكين أقعى كالطريح
والقحط عجلان الخطى والأفق شاحب

• •

قد كان يبسم للزهور فم الربيع
وعلى السواقي يوغى سرب القطا
ونقيق آلاف الضفاضع في الهجيع
والدمع في الأنحاء شامخ
والخير كل الخير يغدقه الاله
موال راع في الربى
وربابة تغفو بحضن الشاعر
ينساب نوح أنينها عبر الدوالي
ويروح أصداء تضيع
وترى عناقيد النبيذ
كمثل أشلاء الثريا
بنية الألوان ترتشف النجيع

• •

مـــاذا ؟
هل رحل المطر ؟
عن هذه الارض الخصيبة
هل سافر الخير العميم
وحل بعد جفاف أرض لا يزول
ويتمطر السحب الرماد أو الغبار
وتموت أغصان رطبة ؟
مـــاذا ؟
أفي النفس اكتئاب أم جحود ؟
الشكر في قلبي وليس له حدود
ماذا أرى ؟
وطناً صغيراً مات في عمر الورود
وتمخض الاعصار عن هجرات شعب لا يعود
متشتتاً في كل بعيد
من أرض اقليمي الحبيب

• •

يا دمعة حيري على جفن المساء
أين المقاهي والنوادي العامرة
أين الصخب — أين الضجيج ؟
أين انطلاقات الشباب الزاهرة ؟
ذهب على خيط الزمن
يا لوعتي ... :
لولا عنايات الاله
وعطف والدة حنون
لصار جزءاً من فلاه .

السلمية — باكير محمود

طاحونة الموت

مهداة الى الدكتور صالح الاشتر صاحب « حس الفجيعة » .

اكاد احس انتهائي ، مرارة موتي ، استحالة عني فحمه
نبوءات فكري الرهيف تشق الضباب ، ترى في دهاليز عتمه
تقمصت كاهن غيب يفسر رمزاً معمى ، ويجهل رسمه
يداه مكبلتان بغل القضاء يحزهما ، دون رحمه

. . .

إلهي يفض مغالق ذاتي ، فأنحر . . يغتالني رصد زحمه
وينتصب القبر في عقدي السود طاحونتي حشرجات ، ونقمه
وجسراً الى عالم غيبي يصر متى اطلق الفخ نغمه

. . .

انا نطفة في ضمير التهاويل ، دفقي ، واغشيتي محض وصمه
اشد قرارة رحم ، اعرى . . فأرتد مستغرباً ألف كلمه
معقد رسغ ، اخوض سراديب وحل ، اغوص ولا حلم ثمه
لماذا اذن استشف مصيري ، انجم والموت في ضوء نجمه
إلهي كسر مزاليج خوفي ، واغلق كوى فكري المدلهمة

موريس قبق

البلاغة والفنون الادبية

بقلم : عدنان ابن ذريل

لايزال البلاغيون . والنقاد العرب المحدثون يدأبون للتجديد في البلاغة العربية ، وتطويرها ، تحدوهم رغبة في النهوض بالدراسة البلاغيـة ، والنقدية الى المستوى العلمي . والانساني الحديث ، لتسد متطلبات التعبير ، اليوم ومتطلبات الشرح ، والتوضيح ..

وقد نشط الكثيرون منهم في تحديد مجالاتها ، وضبط المعارف ، والمناهج فيها ، خاصة بعد أن أخذت معالمها الحديثة تتضح اكثر فأكثر ، فصارت تعانق الاسلوب بمجموعه دون ان تهمل الجملة ، او اللفظة ، وتعني بالبـاعث الفني والنفسي دون ان تنسى العامل الشكلي ، والتعبيري .

بلاغة اليوم علم الاسلوب ؛ وقديما كان البلاغيون يعنون بالاسلوب ، او النظم ، ولكن في مجال ثانوي ، في حين الجدة اليوم ان مبحث الاسلوب فيها هو الاساسي ، والذي يدعمه مبحث الفنون الادبية .. فتكون البلاغة اليوم دراسة الاساليب المختلفة في الفنون الادبية المختلفة ..

البحث البلاغي اليوم اصبح يهتم بمجموع العمل الادبي تمثله ، ابداعه ، انجازه ، الفنون التي يتخذها ، والاساليب فيها ، ثم الجمل ، والالفاظ .. ولكن ثمت سؤالاً كبيراً ، يلح منذ ربع قرن ، او يزيد على البلاغيين ، والنقاد ، هو ماهي الحدود المميزة للعمل البلاغي الحديث ، وماهي ايضا حدود العمل النقدي ، اوحدود الدراسة الادبية !.

والحقيقة كانت الاجابة على هذا السؤال الاساسي ، شاقة ، ولكنها متقاربة عندهم .. وتحاول ان تجعل الاسلوب ثم الفنون الادبية مجال البحث البلاغي .. ولا اختلاف بين دارس ، واخر ، الا في تنفيذه الدراسة ، وانجازها ، من تطلب لابحاث فنيه ، او نفسية ، او تاريخية مقارنة .. في حين النقد تقييم ، وشرح ، وتحليل ..

ومحاولة الصديق الدكتور صبحي الصالح في الفنون والمدارس الادبية ، محاولة موفقه في التجديـد البلاغي الحديث ، تخدم كثيرا من جوانب هذه الآفاق الحديثة في البحث البلاغي ، والنقدي ، وسأحاول منـاقشة المؤلف الفاضل في بحثه ، تمثله ، وانجازه ، المعارف ، والمناهج فيه ، خاصة وان قصد التجديد البلاغي عنده واضح ..

يقول المؤلف الفاضل ص ٩ : لكي ننفح بلاغتنا القديمة بنفحة جديدة لن نقنع بنفض الغبار عن قواعد البيان واصوله لاننا حين نقنع بهذا نظل ندور حول مفهوماتنا واصطلاحاتنا ومقاييسنا في الحكم على جمال شيء اوقبحه بل سنتطلع الى آفاق اوسع ، واكثر بهجة ، واشراقاً حين نأخذ في دراسة العمل الادبي ، وعناصره ، ونمضي منه الى فن الشعر وانواعه ، والمدارس والاتجاهات التي قامت حوله في الغرب ، وقام بعضها في الشرق تـأثراً بالغرب ، ومدى توافق هذه التيارات مع طبيعة الادب العربي او مخالفتها معه ، ثم ننتقل الى فن النثر بأنواعه الكثيرة ، ولاسيما القصة ، والسيرة ، والمقالة ، والرسالة ، والخطابة ..

ويقول أيضاً : ولعل أهم الابحاث في البلاغة الحديثة هو الذى يلخص الوسائل الضرورية لاجادة العمل الادبي بجميع انواعه . وهذه الوسائل هي التي يعبرعنها بعناصر العمل الادبي ، او اسسه ، ويكاد النقاد جميعا يتفقون على انها اربعة العاطفة ، والخيال ، والمعنى ، والاسلوب .

وكذلك يحدد معالم دراسته بانها ستتناول هذه الافاق الجديدة ، التي لعناصر العمل الادبي ، اوللفنون ، والمدارس

كما ان قصده تطوير البلاغة، وتطعيمها بنفحة جديدة من البحث، والتمثل فيها محدد.

وقد حدثني المؤلف الفاضل عن هذه المحاولة منذ سنوات، ورأيته يعمل على تحقيقها، وكنت منصرفاً الى الدراسة الاسلوبية، والبيانية. ووضعت صور البيان، ووزعت فيها الصور البلاغية القديمة التي للمعاني، والبيان، والبديع، وادخلت عليها مفهوم الرمز، والرمزية.. فسررت ان يقوم عالم محقق، فاضل، بالبحث البلاغي، ويتوفر له ويخدمه، حتى اهداني هذه المحاضرات، مستطلعاً رأيي فيها، وانها حقاً محاولة موفقة في الدراسة البلاغية الحديثة ؟.

ولنتقدم الى الموضوع، تمثله، وانجازه.. قسم المؤلف الفاضل بحثه الى اقسام ثلاثة، هي على التالي: بين يدي الفنون الادبية، المدارس الادبية، الفنون الادبية.. ونحن في الاساس، لاننكر هذا التقسيم على المؤلف، لانه تقسيم جائز، ولكننا لانستطيع ان نسلم به الا في حدود معينة. هي ان تكون المعطيات فيه في غاية البحث البلاغي، لاتتعداه الى غيره اياكان، تاريخيا كان او نقديا.

ان البلاغة الحديثة اليوم لاتستغني عن مقدمات فنية ونفسية، ونظرات تاريخية، ولكن هل يحق اعطاء هذه الانواع من البحث الفني، والادبي نفس الاهمية، اونعتبرها كلها بلاغة، او بحوثا بلاغية !؟

لقد أشعر المؤلف ان القسم الاول بين يدي الفنون الادبية، او ان التاريخ المقارن شيء جدير بالاشارة اليه، او الاطلاع عليه.. وقد حرص على الافادة؛ والدقة، ولكن كثيرا من موضوعات هذه المحاضرات، في اقسامها المختلفة خرجت من حدود الدراسة البلاغية على حد تعبيره، وقصده، الى حدود النقد الادبي اوالتاريخ الادبي المقارن.

وفي الحقيقة من الصعب قبول بحث المدارس الادبية في البحث البلاغي، الا ان تكون فقط اعتبارات يجدر الاطلاع عليها، اما تطويل القول فيها في مجال بلاغي، فلا اراه مقبولا، وكذلك من الصعب قبول التطويل، او الاستطراد في عناصر العمل الادبي من عاطفة، وخيال، واسلوب، وغيرها، والتي تعورف عليها انها عمل نقدي ومن شيمة النقاد شرحها في مجال نقدي، ومن هنا نرى ان المحاضرات فيها تطويل كثير، وحشو كثير ايضاً، يجدر بالمؤلف عزلها، وتنقيحها، وتوضيح مبررات وجودها في بحث بلاغي حديث..

ولنتقدم خطوة اخرى في الموضوع، كنت اتوقع في بحث الفنون الادبية ان يعرفنا المؤلف الفاضل بالشعر عامة، والنثر عامة ايضا، ثم بانواعها المختلفة، الاان وجدت تعريفاً عاماً بالشعر، دون النثر، ثم تعريف بفن القصة، والسيرة ثم أما كان يجدر بالمؤلف ان يطيل الوقوف على الشعر، وانواعه من قصيد، ورجز، وملحمة، ومسرح ايضاً، كما يتحدث عن انماط حديثة مستحدثة في الشعر كالقصيده؛ والحر والمنثور ؟. والاساليب الكبرى فيه كالملحمة؛ والمسرحية.. هذا من جهة.. ومن جهة اخرى.. يقسم المؤلف الفاضل الاسلوب القصصي في بحث فن القصة، الى نوعين اساسيين، الرواية والمسرحية، ثم يتحدث في صفحات متتالية في عناصر العمل القصصي، الرواني، والمسرحي على وجه التعميم، وفي شمول ظاهر، من شخصيات، وعمل وحوار، وغير ذلك، مطلقا القول في معظم الاحيان على النوعين؛ حتى اذا اعوزته الضرورة الح الى وجوب التفريق بينهما.

وفي نظرنا، من الصعب اليوم قبول هذا الشمول والتعميم في فنين أدبيين كبيرين، كالقصة، والمسرحية والذين آن لنا ان نميز بينهما التمييز الدقيق، الامين، كما يفعل كثير من النقاد، والدارسين اليوم، ففن القصة يقصد منه اليوم الرواية والقصة القصيرة، والاقصوصة، وهي للسرد الرافعي، او التاريخي، اوللتحليل، والانتقاد في حين المسرحية فن ادبي مستقل، ومتميز بموضوعه، وغايته، وفنيته، وهي ايضا شعرية، او نثرية، وقد تطورت تطوراً ملحوظاً منذ اليونان الى اليوم بما حمل في تضاعيفه لها الوانا فنيه مختلفة يجب توضيحها، وتفنيدها!

هذه ملاحظات في الفنون والمدارس الادبية للصديق الدكتور صبحي الصالح؛ خططتها على الطرس اتوخى الفائدة والحق؛ وثمت كثير من صفحات المحاضرات؛ وابحاثها المختلفة يحتاج الى نقاش في كثير من نقاط المعارف، او المناهج التي تعرض وعسى ان يكون ذلك موضوع حديث آخر؛ والله ولي التوفيق..

دمشق ـ عدنان ابن ذريل

صراع في المرسم

في الندوات الادبية الكثيرة التي يعقدها الادباء في المقاهي او الاندية والبيوت يزداد الاهتمام يوم فيوماً بالرواية العربية الجديدة . ولو شئنا ان نوزع النتاج الروائي العربي على المدارس الروائية المعروفة لوقعنا في حيرة ولاصبنا بخيبة امل بالنسبة الى الكمية والقيمة . فعدد رواياتنا ضئيل والجيد منها نادر. والشهرة والرواج لايعنيان شيئاً كثيراً بالنسبة الى قيمة الاثر الحقيقية . فلكم من اثر هزيل ذاع صيته وتخاطفته ايدي القراء لا لشيء الا لانه احيط بهالة من الدعاية الضخمة لاسباب لاتمت بصلة الى قيمته الصحيحة .

والناقد الاصيل يقرأ ويحلل ويقارن ويقوم الاشياء بموازينها ، ولا يدع للهوى منفذا الى احكامه . فان وقع على ما يستحق الاشادة اشاد به واعلا قدره ، وان وقع على الهزيل التافه كشف عنه وحذر القراء من زيفه ، ووضعه في المكانة التي يستحقها . ويمثل ذلك تخف وطأة الفوضى التي عمت الجو الادبي في العالم العربي والتي توشك ان تجرف التعليم وتنقر المقاييس وتحدر بالاذواق انحداراً مخيفاً

وستعمد « الثقافة » ابتداءاً من هذا العدد ، الى نشر فصول كاملة مأخوذة من اشهر الروايات العربية الحديثة فيتسنى لقرائنا القيام بمقارنات ممتعة على نطاق محدود بين مشاهير روائيينا كنجيب محفوظ وطـه حسين وشكيب الجابري وعبد الحليم عبد الله واحسان عبد القدوس ويوسف السباعي وسهيل ادريس . وان ننسى الروائيات الحديثات كليلى البعلبكي وكوليت خوري لنري المكانة الحقيقية التي يمكن ان يتبوئها بالنسبة الى الروائيين . وسنشير في اول كل فصل الى اهم خصائص « الفصل » وميزاته ونقاط ضعفه .

نبدأ اليوم بنشر فصل عنيف من رواية « وداعاً يا افامية » للدكتور الجابري على ان ننشر له بعد بضعة اعداد فصلاً آخر من النوع التأملي الذي يمتاز بعمق الفكرة والتصور .

اما فصل اليوم فمسرحه قرية « قلعة المضيق » المطلة على مستنقعات « الغاب » .

الابطال : نجود : بنت زعيم القرية . رائعة الحسن والشخصية كانت تساعد سيدات بعثة الآثار الاجنبية واعضاءها في شؤون معاشهم ، وبينها وبين البعثة مودة .
ندى : كانت صديقة لنجود ، ثم اصبحت زوجة لابيها ، ثم منافسة لها على « سكاربا » **البرتوسكاربا** : فنان ايطامن اعضاء البعثة . تخلف في القرية ، بعد ذهاب البعثة ، لاتمام بعض المهام . كانت ندي مولعة به ، اما هو فمولع بنجود

الحركة : سريعة تارة ، بطيئة تارة اخرى تبعاً للظروف ، لكنها شديدة الحياه ، واضحة ؛ تتمتع بديناميكية زخمة لا نظير لها في الادب العربي . تبلغ الحركة حد العنف في بعض المواقف .

اللغة : بينما نرى الكثيرين من كتاب الرواية العربية يلجأون في بعض المواقف الصبة الى اساليب تذكر باسلوب اللغة العامية الركيكة ويستعيرون ، لابراز بعض صورهم الجديدة ؛ تعابير واصطلاحات ومفردات هي الى التركيب العامية اقرب ، نجد الجابري كلما عوضاً ازداد خلف فكرة من افكاره العميقة وكلما ازداد بعداً في رسم لوحاته المثيرة اشتد تشبثه ببلاغة البيان العربي ؛ وتمكسه بنقاء لغته ووضوحها ومرونتها وشفافيتها اما المفردات والتعابير فانه ينثرها بسخاء ودقة واحكام كأن في دماغه مجمعا لغوياً متأهباً لا تسأله عن شيء الا لباك على خير وجه . وفي ذلك خير ليل على ان العربية تتسع لكل خاطر ولكل فكره ولكل صورة ولوحة . ولاحاجة بالكاتب العربي ان يحرف الفكرة ليستقيم له اداؤها ولاحاجة له بالهرب ان امتنعت عليه الخواطر

فذخائر العربية كثيلة بمده واغاثته لواحسن الدخول الى الادب من ابوابه الصحيحة .

وفي رواية الجابري في كل فصل من فصولها عشرات المفرات والتعابير الجديدة المنقاة الانيقة الدقيقة الحلوة لن تلبث ان تنتشر بانتشار هذا الكتاب وتدخل عالمنا الروائي فتزيد في غناه واناقته .

نقاط الضعف : يأخذ بعض النقاد على هذا الفصل وعلى بعض الفصول التي تختم الكتاب الاسرافي العربي . ولو احتال الكاتب لاخفائه وراء غلالات من اشراق بيانه وفي رأينا ان هذه الغلالات الملونة الشفافة لاتزيد عري هذه الرواية الكبيرة الا اغراءاً وفتنه .

البنيان : بنيان هـذا الفصل محكم متين متناسب مرصوص . انسجمت فيه الاشكال بما يناسبها من الالوان فكان من ذلك شيء بالغ المتانة والترف .

المحرر

افتقدت نجود حوائج سكاربا فلم تجدها . خمنت ان ندى حملتها اليه .

ورجت ان تلقى ندى ببعض الطريق ، ذاهبة او عائدة ، لتمضيا معاً الى العرس .

ومهما يكن من امر فلا بد من ايصال الحوائج الى صاحبها هذه الليلة ، فقد يمتد بهـا النوم ضحى الغد فتتأخر عليه .

كانت نـدى هي في الواقع من حمل الحوائج .

سعت بها الى دار الرسام لا براً بنجود . بل لغاية في نفسها ، فقد قدرت انشغال القرية بالعرس ، وانصراف زوجها الى صحبه ، وانهاك نجود مع قريباتها بشؤون الوليمة ، وانه قد خلا لها الجو لترى اي شـأن سيكون لها مع هذا الرسام الفاتر والشاب المقصر .

فسارت اليه هائجة القلب ، مضطربة .

فاذا احتواهـا سكون الليل وحيدة في الازقة تيقظت البهيمة الكامنة في غيـابة حسها .. ثم تمطت تتنزى .. ثم انطلقت تثيرها الظلمة كما ينطلق الوحش ، اشد ما يكون ضراوة في الليل . وحش الغابة ، ووحش النفس سيان ، يكبحها النور ، ويهيجها الظلام .

وان كانت خطاها في بدء سراهـا متخاذلة تدب فيها بقية من خشية وظل من حياء ، ويخفف من وطئهـا ما تخاف ان يثيره حذاؤها من قرع الحجارة وما ترجعه الجدران من فاضح الصدى ، فهي الآن عجلى مترنحة ، تنوء بما يستحثها من ظمأ لاهث وسغب شديد .

يا ويلها ! .. تسير وكأنها تركض .. ضالة متمردة .

جفت لهاتها وزاغ البصر . وفي آفاق عينيها غشاوة مسعورة الرؤى ..

قد تعرت بخيالها للرجل واستبيحت له .

وانامل الراعشات ، بنات الاثم . سعين الى الصدار . يحللن عراه ، يفككن ازراره . ساهيات ، ساهمات ، لا يردهن راد عن استباحة الصدر . يضغطنه اي ضغط . يعابثنه . يراودنه . كأن فيهن روحاً من سدوم .

وترفقت بالباب ، فانفتح دون صوت . واطلت على الرسام وهو في هالة من نور مصابيحه ، وامامه لوحة سهمت فيها عيناه .

كانت رسماً نصفيا لبنت من بنـات الريف . لم تتعرف اليها كل التعرف لاول وهلة . لكنها لم تلبث ان وضحت لها الصورة .

فغاض الدم من وجنتيها الم بها ما يشبه الدوار .. وايقنت ، وشيء يحز في صدرها ، ان الرجل ليس لهـا . ولن يكون ، الا لتلك التي شخص الى رسمها ، وقـد اضاف الى جمالها جمالاً ، وكذب على الحقيقة فرفعهـا من مصاف الانس الى مصاف الملائكة ، في لوحته تلك الهائلة ، التي اسرف في مقاييسها حتى غدت تغطي جزء واسعـا من الحائط .

ولسرعان ما تخاذل الكيد الجامح امام اللوحة القاهرة ، وذل ، وتواضع .

— « حسبي منك بعضك ، لا كلك ،

اشركها معي ان شئت .. اشركني معها ، ببعض ما اوليتها من ودك ،

هب لي من ذاتك ما شئت ... ما شاءت هي .

اتريدها ، وتأبى ؟. انا اعرفها .. كل من في القرية يعرفها .

فاتره ؛ باردة ؛ حرون ؛ لا تفهم بالرجال .

بقرة . بقرة لا ادراك فيها . لا حس ؛ لا حرارة .

انا ادرى الناس بها بل ما في القرية من لا يعرفها . بكماء صماء ؛ دبة . لم نسمعها قط ترنمت بالحب . فلن تذيقك قط ما تريد من حلاواته !

ان شئت لذة العناق ، والنشوة حتى الموت ؛ ان ندى لطوع بنانك .

نجود .. خشبة .. لوح من جليد .

من يجهل ذلك من شباب القلعة ؟. لقد تحاشاها الرجال .. لانها لا تأبه بالرجال .

اتأبى الا ان تذوقها ؟. انا الكفيلة بتذليل قيادها لك .

لا نفع فيها ؛ لا نفع .. انها ... عذراء !

دمها يسفك ودمك الغالي ؛ ان مسستها او مستك !» .

بمثل هذه الخواطر خاطبت ندى في خيالها البائس معبودها المستغرق . وقد تخاذلت حقاً ؛ ولانت . وارتضت بالشركة فيه ، بل بالمكان الثاني في قلبه ومهاده ؛ بل باقل من ذلك لو شاء . جل ما غدت تضرع له الا يصرفها عنه ؛ الا يطردها ؛ ان يخلي لها الليلة ؛ الليلة وحدها ؛ ما بعدها من لقاء ؛ ان قضى بذلك اعراضه ودلاله .

انها الليلة لا عجز من ان تصمد لانياب الغول الجائع الذي يعيث في احشائها ويتلوى ؛ ويضج في صميم كيانها ثائراً فائراً كانه الحمم الذي صغر عليه جوف الارض فهاج وتدفق .

وتتلوى في موقفها ؛ وحول عنقها قبضة تعصره وتذله .

اسرعان ما هوت المرأة القوية بكيدها ؛ ورضيت بادنى الحضيض مقاما . شأنها في ذلك شأن كل جبارعات . ان تكشف له انه مغلوب خر من علياء جبروته ؛ واذا هو بمنزلة العبد او ادنى .

وهمت ان تسير الى الفتى تطلب احسانه . وآلت لتكونن بين يديه كما تكون الدرداء من الافاعي في يد الحاوي . يلويها كيف شاء . ويطلقها ثم يجمعها . ان شاء دسها في كمه او غيبها في قميصه او لفها حول عنقه . لا تثور ولا تؤذي .

ولئن عن له ان يقسو ويلقي بها الى اشد العذاب ؛ فلسوف ترضى بقضائه وتستعذب عذابه .

وهاهو جسمها اللين ، سيكون بعد لحظات موطئا له . يأخذ منه من يشاء ويهمل مايشاء .

ما كأن هذه المرأة الضالة والانثى الضائعة من بنات هذه الارض الابية ، ويا ويلها ساعة تعصف بها عواصف الاثم ما اكفرها بتقاليد قومها ، وما اعرقها في الضلالة والفجور !

خطت خطوة نحوه ، وهو لاه ، لايرى ولا يسمع .

وصر باب الفناء الخارجي صريراً خافتا فجمدت ندى لحظة فطار قلبها شعاعا . ولو رآها راء فليس عليها من حرج والحوائج التي تذرعت بها لزيارة الفتى لاتزال بين يديها تدرأ عنها كل شبهة ، ولكن من يتهم نفسه ، ويحمل جريمته في فكرة ؛ ليقيم الدليل على نفسه بنفسه .

الم بها الاضطراب فخطت نحو مدخل المطبخ ؛ وقبعت في ظلامه تسترق السمع ؛ وتحدج الباب لتستبين وجه الطارق .

ولم تلبث ان سمعت نقرات لم يبال بها الرسام لانصرافه الى لوحته ، يمسها بفرشاته مسات خفيفة ، كأنه قل اصطبارة فلا جلد عنده لينتظر انبلاج الصبح فيتم عمله على نوره الواضح وكلما اضاف شيئا في لوحته عاد القهقري خطوات ليرنو اليها مغاضنا ، قد زم اجفانه وحسر بصره ، وقد يحمل قبضته الى عينه ينظر من خلالها كأنها المنظار ، فيرى من امر اللوحة مالايراه بالعين المجردة . ثم يعود الى قماش لوحته يكاد ينشقه ويمسه بشفتيه ، ولو رأته ندى في غير هذا الظرف لظنت بعقله الظنون ، ولضحكت منه كثيرا .

عادت النقرات حازمة مستحثة ، كأنها اوشكت ان تقطب . فصاح الرسام بصوت متراخ كأنه يناشد الزائر ان ينصرف عنه ويعود من حيث أتى مشكوراً :

— تفضل !

قالها ممطوطة ، لافظاً الضاد دالاً .

ودخلت نجود ، فحيت ،وقد بدا عليها انها على عجل من امرها ، ونفضت الحجرة بنظرها ، ولما لم تجد الحوائج على الصندوق الخشبي المزخرف حيث جرت العادة ان توضع سألت مستغربة :

— ماحضرت خالتي الاغراض ؟!

وتنتفض « الخالة » في مخبئها مذعورة ، كلما امسكت انفاسها ازدادت لهاثا .

اما الرسام فعلى محياه ابتسامة عارمة بلهاء منذ فوجيء بهذه الزيارة السعيدة ؛ لم يكن ينتظر ان تهتم نجود بشؤونه في مثل هذه الامسية وكان قد وعد ان يحضر حفلة العرس في ساعة متأخرة ريثما تنتهي وليمة الطعام وما يتبعها من مراسم يضيق بها ؛ فلا يحضر من الفرح الا رقصه واهازيجه.

وردد فكره متلمظاً :

— ياحظي !. اتت في اطيب ساعة !

وكاد افرط امتنانه يتلقى الفتاة بين ذراعيه ؛ اوجاثيا اعلى ركبتيه ؛ ليلثم زركشة ثوبها المخملي الاسود واظفار انا ملها المخناة .

لكنه ارتج عليه ، فأطلق ضحكة وزفرة ؛ وانقلب طفلا بليدا حائرا ؛ وطال وقوفه في مكانه مأخوذاً ، ثم انطلقت عبارات الترحيب وبدت له كلماته فاترة ؛ فاراد ان يشغل يديه بشيء اخفاء لعيه ؛فامسك بطرف الستارة محاولا حجب اللوحة ؛ شأنه امام شخص غريب ؛ فانفجرت نجود ضاحكة ؛وتلقت الغريمة الضحكة الخلية كطعنة في اوجع نقطة من فؤادها ؛ وصرت على نواجذها صريراً بشعاً ؛ اما الرسام فتلقى الضحكة كجرعة من كوثر .

قالت نجود وهي تتأمل صورتهابنظرة لاتخلو من مكر

— خلصت الصورة ؛ مابقي الك حاجة بنجود :

ود ان يقول :

— انا كل عمري في حاجة الى نجود !

لكنه لم يجد ضالته الشافية من الكلمات العربية لاداء هذا المعنى فانطلقت الكلمات على لسانه بالفرنسية بلهفة !

— عجبتك ؟

فزمت شفتيها ورفعت حاجبيها كانها تقول : لايزال الشبه ضعيفاً ؛ لكنها لم تكد تلمح امارات ابتئاسه حتى تبسمت ؛ ودنت من اللوحة ؛ وبكل مافيها من رقة مدت شفتيها ؛ وطبعت عليها قبلة !

ولو ان يد ميشيل انجلو امتدت الى ناصيته بتاج الخلود امام حشد من عباقرة الرسم ؛ لما خفق قلبه ورضيت نفسه كشأنها امام هذه القبلة العفوية التي طبعتها شفتا نجود من لوحته

وكيف تدرك الفتاة الساذجة مدى الاثر الذي خلفته لفتتها الكريمة في نفس الفتى المهوس ؛ وما تعنيه هذه اللوحة بالنسبة اليه ؛ وهي الخلق العزيز الى قلبه ؛ فيه سكب روحه وحشد فنه ؟

ولعله لو خير بين اللوحة وصاحبتها التي تيمته حبا لآثر اللوحه ، انها هي ما يجمع كيانها وروحه ويخلد صباها وفنه؟

وتقدم باسطا كفيه كفارس من البندقية يقبل على حبيبته ، وفى عينه نظرة غامضة وجف لها قلبها ، وقبل أن تدري اي شيء تفعل خر على ركبتيه واخذ بيديها في كفيه يبثها فرحة قلبه ؟

تقهقرت خطوه ، فتشبث بها ، فاضطربت اضطراباً فيه خوف وان كان لايخلو من بارقة خفيفة من رضا الانوثة !

وتحيرت لاتدري اي سبيل تسلك ، فلبثت ساكتة ساكنة رغم ما صطخب في نفسها من عوامل الضيق ،هي ترجو ان يثوب الى رشده فتعود من حيث جاءت ، على ان لاتعود الى داره بعدها ابداً في ليل ولا في نهار !

وكيف له ان او يهدأ ؟ ان يتوب لهاثها المثير وماشاع من بدنها الخارج لتوه من حمام القرية من طيب فاغم ، وماند من مزيج العطر عن ردائها المزركش ، المطيب شهورا في صندوقها بيلون الورد ويبس الريحان والتمرحنة ، ليذهب بالبقية من رشده ، واذا هو موله مفتون ، يدفن رأسه الاشقر في سواد حجرها المخملي ، فتكون من ذلك لوحة خلابة ، تكاد تودي بعقل ندى المتربصة في الظلام .

دفعته بما تيسر من الرفق ، وارتدت تطلب النجاة باقل مايمكن من الضوضاء ، فحمل سكاربا امتناعها الصامت محمل الصد الذي هو الاغراء والاعراض الذي فيه ابرع الاثارة !

فتبهنس ، واحتدم ، ولم يلبث ان انقلب من حمل الى ذئب جائع ، وتشبث بها اعنف مايكون التشبث ، وهصر خصرها بذراعه ، بينما ذهبت كفه الطليقة تعيث في مواطن حياتها !

ويطلب شفتيها بلاهب من شفتيه ووالغ من لسانه ، فاذا أعجزته عنها ، وذهب بصبره فوح عرقها الوحشي استجار بطرف من ردائها وتعلق به ، وراح يهذي بخليط من الكلام فيه من كل لغة عبارة ، يريد ان تدرك انه لايقصد سوءاً ، وانها تسيء فهمه ، وانه ان ظفر منها بالحب وحده فسيكفيه ذلك :

وتتعثر فى لسانه الكلمات ، وتحوجه لفظه فتعصى عليه وتخدعه بضدها ، فيضيق صدره ، ويعود الى جسمها ، وجسمها يرتد نحو الباب مدافعا ، مستبسلا ، عنيدا في إبائه :

ولا تبالي بما تخلفه في قميصه من شقوق ، وفى لحمة من آثار اظفارها ، وعضات انيابها ، التي آلت مرغمة ان تكون بعض سلاحها فى هذا الصراع الصامت :

وكان العراك خافتاً ، والفتاة تخاف ان تستغيث ، فتغاث ، فتتهم ، فيقضي عليها من قبل ذويها ، ان لم يكن الموت فبالعار ، وهو أدهى :

اما هو فخائف ان تفصل عنه ، لما يقض وطرا اوتفهم منه مايريد :

مابالها القطة الوحشية والريفية الرعناء ! الم يأن لها ان تدرك انه لن يريد من لامر الا القليل ؟.

وهم بها مرة اخرى ، ومابينهاوبين الباب سوى خطوة فانتترت منه بقوة وصدمته صدمة كادت تلقيه ارضا .

واختلط لهاثهما . وانقشع عن الفتى الايطالي ماكان يخفي وجه غريزته من براقع المدينة ، فبدا كواحد من اسلافه الاقدمين ، الحفاة العراة ، ذوي الشعور المشعثة ، واللحى المرسلة ، والنواجذ الصفر والمخالب ، يعرقون العظم ، ويتناسلون في العراء .

وبدا محياه منسرق اللون مكدما ، شفتيه زبد ، وبينهما فحيح شرس . وعوت عروفه اذ الفاها لدى الباب ، توشك ان تفلت فوثب وثبة القتهما معاً . متلاحمين ، متعانقين . يفوح منهما سهك العرق العنيف المثير .

وتند عن حنجرتيهما صيحات عميقة كبغام الوحش . وغير بعيد ، في ركن مظلم جد قريب منهما ، وقفت ندى تتفرس في المشهد بعين هائلة لاتطرف . تعج بالف لاعجة من لواعج الشر ، وفي قرارها ظمأ معول .

كانت قبل قليل ، وهما في اقصى الحجرة ، ترى بعضاً مما يجري وتتخيل الباقي ، وتصبر ماواتاها الصبر ، فلاتشرئب الا قليلا .

اما الآ ن . فقد اطار صوابها هذا المشهد الهائل : صراع الجنس وجنون الغلمة ، وهياج الوحش ، ويقظة البهيمة في الرجل .

واخذ بزلعومها اشتهاء خانق . يعصره فتئن انينا قاتماً ، كحشرجة ، ويسترخي حنكها ، فيتولى ببله . كلما اطبقته عاد فتدلى .

وتململ اللسان الضال . وتلوى . كانه اراد ان يتمرغ في شيء ان يلغ ان يبذل لعابه ثم لذ لاسنانها ان تعض شيئا ان تقطع تجرح تسيل دماً .

وكل جارحة من جوارح جسمها المتحفز المتماسك المثار المرتعد المتألب المتوتر كل جارحة من الجوارح المستفزة كانت تهتز شهوة ان تكون هي اداة إلتماس اللذة لدى ذلك الرجل الذي طالما اشتهت وصله وامام تلك الفتاة البغيضة المتشابكين المتلاحمين الصق التلاحم حتى لتخاف ان يقضى الامر قبل ان تدري اي شيء تفعل .

ندت عن نجود صيحة حين انزلق طرف من جلبابها واذا خبيئه جسمها مكشوفة للشرر الجائع المنطلق من عيني سكاربا يحوم حول شهى لونها تحويم النحل حول قرص من عاطر الشهو .

وبقوة اليأس انتفضت الاعرابية انتقاضة هائلة اتبعتها بلطمة شديدة ادمت جبهة الرجل الغربي مابين عينيه باسوارها الفضي اسوارها الغليظ ذاك الذي طالما ابدى سكاربا اعجابه به فيما مضى واحبه فزاغ بصره وفقد توازنه وتخلى .

ولو قد اتاح خيط الدم السائل للفنان ان يرفع بصره في تلك اللحظة قليلا اذن لرأى طوق الجلباب المذهب قدشق لايدري كيف شقا بعيدا اطل من ورائه مشرئبا على ميدان الصراع الخافت نهد صلد جديد ساحراً في سذاجته وجهله انه لاول مرة في حياته يرى رجلا :

منصب الوزارة في الاسلام

بقلم : علي مجبور

توطئه : لم يعرف العرب في جاهليتهم حياة الاستقرار والتنظيم ، حتى جاءهم محمد ﷺ بدين جديد وحياة جديدة مبنية على التوحيد والمعرفة والاخاء والنظام .

ويمكننا القول ان حادثة الهجرة النبوية تعتبر نقطة البداية في نشوء الدولة الاسلاميه . فلم يكن الرسول ﷺ يستقر في المدينة المنورة حتى يبدأ نظام جديد بين سكانها ، وتظهر النواة الاولى للدولة الاسلامية المرتقبه .

وبعد ان آخى ﷺ بين المهاجرين والانصار وجمع المسلمين مع اليهود من سكان المدينة كتب بينهم كتابا هو الدستور الأول للدولة الاسلاميـــة (او صحيفة يثرب كما سميت) هذه الصحيفة تكشف لنا عن العمل الكثير الذى أتمه الرسول ﷺ بتوحيده قبائل المدينة وجعلها امـــة واحدة لها حاكم أعلى هو الرسول نفسه ، نتيجة هـذا العمل الهام ينتقل العرب من حـالة (القبلية) الى حـالة (القومية او الامة) .

ولكن صحيفة يثرب هذه لاتكفي وحدها في اعطائنا صورة واضحـه عن السلطة العامة التي كانت تدير الامور في المدينة ، وان هذه السلطة لم تستكمل عناصرها دفعة واحدة وانما تم ذلك تدريجياً شأن الرسول ﷺ في كل اعمـــاله . فقد اوجد بعد ذلك سلطة تنفيذية واخـــرى قضائية وثالثة تشريعية :

وهكذا اخضع الرسول ﷺ الناس لسلطة عامـــة لاعهد لهم بها . هذه السلطة العامة هي (الحكومة) ولولاها لبقيت العرب (قبائل) (١)

وتمضي الايام والرسول ﷺ هو الرأس المـــدبر لشؤون المسلمين وحكومتهم الناشئة الفتية يزيد في تنظيم امورها ويوجد لها التشاريع اللازمـة مع تطورها ، تـلك التشاريع التي جاء الكثير منها في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة ، ومنها ما اقتبسه الرسول ﷺ من الامم المتقدمة الراقية كالفرس والروم ، مستشيراً اصحابه في ذلك وخاصة ابا بكر وعمر ، حتى ظن الموالي من المسلمين انهما وزيره ، متأثرين بما عرفوه عن ملوكهم من الفرس والروم .

ولم يزل الرسول ﷺ دائبـــاً على تنظيم الدولة الاسلامية حتى لاقي وجه ربه . بعد ان وحد اركانهـــا

(١) عبقرية الاسلام في اصول الحكم ص ١١ — ١٢

— اهذا هو الرجل !. ياله من وحش !

وكما يسقط الفهد من علياء حصنه فتتيبس لوثبته فرائس فريسته كذلك برزت ندي من مخبئها واندفعت تحول مابين نجود والباب وهي تطلق صيحات منكرة تنـادي النـاس ليشهدوا الفضيحة ليغسلوا العار بدم الزانية .

ثم بدا لها ففتحت الباب واندفعت خارجاً محـاولة ان تقفله وثابت نجود الى شيء من رشدها المشدوه وادركت ان زوجة ابيها تريد هلاكها فجاذبتها الباب وانطلقتا في الليلة المصحورة كليالي الصيف كمعتوهتين شبت بثيابهما النار .

ندى تفر لتنجو بكنزها الغالي بالخبر الفـاضح بحكم الموت الذي لانجاة لعدوتها منه وقد نضج الكيد في كيانها ونفخ في خطواتها من روحة فاذا هى تضرب الهواء بقدميها كانها تحاول ان تطير .

ونجود في اثرها تخلف وتستجير .

وتموء قطة على درب الشبحين المتلاحقين ويقف شعرها بفزع شرس .

وتنعب بومة .

ويهوم خفاش .

ويسترسل صرصور فى عزفه .

واوجد النظم والقوانين والاحكام الضرورية لبقائها ومهد لها سبيل التقدم والازدهار .

ويتلو عهد الرسول ﷺ كما هو معروف عهد الخلفاء الراشدين ابو بكر وعمر و عثمان وعلي الذين اهتموا تبثيت الدولة وتوسيغ رقعتها ، فتطلب ذلك تنظيمات جديدة ، فلم يتوانوا باحداثها وترتيبها فاوجدوا الدواوين المختلفة لذلك وانشاؤوا المناصب الجديدة والمراتب ، وخصوصاً الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي قام بالقسط الاوفى من هذه التنظيمات الاداريه والقانونية الدقيقه ، فكان له بذلك اثراً كبيراً على توطيد اركان الدولة الاسلامية وتطورها السليم في مضمار التشريع والتنظيم .

وباستلاء معاوية بن ابي سفيان على السلطة على يبدأ نوع جديد من الحكم عند المسلمين

فقد اصبحت الخلافة وراثية بعد ان كانت شورى . واصبح الخليفة الاموي حاكماً مطلقاً لا يحد من سلطانه شيء وان كان مقيداً رسمياً باحكام الشريعة الاسلامية . الا ان الاغلبية الساحقة من الخلفاء الامويين حكموا حسب ارادتهم الشخصية ووفق اهوائهم وميولهم غير عابئين بنصوص الشريعة واحكامها . ولكنهم مع ذلك اهتموا بتنظيم دولتهم التي اتسعت وامتدت الى اقاصي الارض بفعل الفتوحات الاسلامية السريعة المظفرة . فتابعوا ايجاد الاجهزة الادارية بمختلف انواعها واستخدموا المناصب والوظائف اللازمة لادارة دولتهم المترامية الاطراف ولم يتوانوا عن اقتباس كل ما يفيد وينفع في ضبط امور دولتهم من الامم الراقية التي خضعت لهم أو الامم المجاوره .

وهذا شيء طبيعي . فكلما تقدمت البلاد في طريق الحضاره والتنظيم الاداري ازدادت فيها الحاجة الي الاختصاص وتنوعت الادارات

وطيلة هذه الفترة من حياة الدولة الاسلامية التي امتدت حوالى (١٣٢ سنة) لم يوجد منصب يمكن ان نسميه (وزارة) بالرغم من اطلاق كلمة وزير من قبل بعض المسلمين والذميين غير العرب على بعض اصحاب الرسول ﷺ وبعض مستشاري الخلفاء الراشدين والامويين وبالرغم من اتساع الجهاز الاداري في عهد الامويين و كثرة الاختصاصيين من الموظفين ، بقي الخليفة المشرف الاول على هذا الجهاز وان استعان بالمبرزين من الكتاب والفقهاء والعلماء ، فانه لم يفوض احداً بالاشراف على شؤون الحكم كما سيحدث في ايام بني العباس .

ولا بد لي في هذا البحث من تعريف الوزارة حسب مفهومها حينداك وذكر انواعها والبحث في اختصاص وصلاحيات كل منها – والتعريف بأصل التسمية واشتقاق وعن ثم الوصول الى نشؤ هذا المنصب وجود اول وزير فعلي والملابسات التي احاطت به ثم اول وزير قانوني وتوضح ذلك بقدر ما يسمح المجال بصورة تقارب الحقيقة التاريخية والواقع بقدو ما وصل الينا من ابحاث في هدا الوضوع

واني اترك للقارىء فرصة المقارنة بين منصب الوزارة في ذاك العهد البعيد وبين ما وصل اليه في ايامنا هذه ليلتمس نقاط الشبه والاختلاف . فيحكم بنفسه على التطور الذي يحق بهذا المنصب الهام في حياة الدول والامم .

تعريف الوزارة : قال الجهشياري في كتاب الوزراء والكتاب : لما تقلد هارون الخلافة دعا يحيي بن خالد . وكان يخاطبه بالابوة وعلى ذلك اجراه في خلافته ، فقال له : يا أبت ، انت اجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك وقد قلدتك امر الرعية ، واخرجته من عنقي اليك ، فاحكم بما ترى واستعمل من شئت واعزل من رأيت وافرض لمن رأيت فاني غير ناظر معك في شيء (١)

هذا هو الوزير ، عرفه لنا هارون الرشيد : نائب مفوض ، يحكم البلاد كلها باسم الخليفة وقد اطلقت يده في التولية والعزل والعطاء والحرمان ، لا يشاركه في ذلك احد ،

اجل . قد يحد بعض الخلفاء من سلطان وزرائهم ، فيأخذونهم بعرض الامور عليهم قبل الفصل فيها ، اويستثنون من نظرهم جملة اشياء يقومون بها هم انفسهم او يفوضونها الى ولاة مخصوصين ، ولكن الوزير حتى في هذه الحالة لايخلو امره من خطر ، فهو اكبر الولاة ورئيس الدواوين ، وصاحب المشورة ، وادنى الناس مجلساً من الخليفة .

ويصف ابن طباطبا في كتابه الفخري في الآداب

---

١ – الوزراء والكتاب للجهشاري ص ١٧٧

السلطانية ، الوزير والصفات التي يجب ان تجتمع فيه فيقول الوزير وسيط بين الملك ورعيته فيجب ان يكون في طبعه شطر يناسب طباع الملوك ، وشطر يناسب طباع العوام، ليعامل كلا من الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة ،والامانة والصدق رأس ماله الكفاءة والشهامة من مهماته . والفطنة والتيقظ والدهاء والحزم منضرورياته ولا يستغني انيكون مفضالا مطعاما ليستميل بذلك الاعناق وليكون مشكوراً بكل لسان . والرفق والاناة والتثبت في الامور ، والحكم والوقار والتمكن ونفاذ القول ، مما لابد له منه

أصل التسمية : قال اهل اللغة : الوزر : الملجأ المعتصم والوزير : الثقل :

فالوزر اما مأخوذه من الوزر فيكون معناه انه يحمل الثقل ، او يكون مأخوذا من الوزر فيكون المعنى انه يرجع اليه ويلجأ الى رأيه وتدبيره .

وقد وردت كلمة وزير في موضعين من القرآن الكريم .

١ – في سورة طه حيث يخاطب موسى ربه قائلا : رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري ، واشركه في امرى .

٢ – وفي سورة الفرقان حيث يقول عز وجل : ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا .

وفي قاموس محيط المحيط : الوزير ، حبا الملك – اي جليسه وخاصته الذي يحمل ثقتل ويعينه برأيه .

نوعا الوزارة : عرفنا الوزير بأنه الرجل الذي فوض اليه الخليفة ادارة امور الدولة كلها برأيه واجتهاده ، ولكنه لايشترط في كل وزير ان يكون له هذا السلطان ، فقد قسم الماوردي الوزارة الى نوعين .

١ – **وزارة التفويض** : وهي ان يستوزر الخليفة من يفوض اليه تدبير الامور برأيه وامضاءها على اجتهاده . (فيكون بذلك مطلق الصلاحيات تقريبا)

٢ – **وزارة التنفيذ** : وهي التي لايكون لصاحبها تدبير الامور باجتهاده وانما يكون عمله فيها قاصرا على تنفيذ اوامر الخليفة والتزام آرائه . وهذا الوزير وسيط بين الخليفة وبين الرعايا والولاة (« يؤدي عنه ماامر ، وينفذ ماذكر ويمضي ماحكم ، ويخبر بتقليد الولاة ، وتجهيز الجيش والحماة ويعرض عليه ماورد منهم وتجدد من حدث ملم ، ليعمل فيه مايؤمر به ، فهو يعين في تنفيذ الامور وليس بوال عليها ولا متقلد لها ، فان شورك فيها بالرأي كان باسم الوزارة اخص وان لم يشارك فيه كان باسم الواسطة والسفارة اشبه (١)

اول وزير في الاسلام : يذكر ابن طباطا في الفخري « والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوافيها الا في دولة بني العباس . فاما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ، ولا مقررة القوانين : بل كان لكل واحد من الملوك اتباع وحاشية ، فاذا حدث امر استشار بذوي الحجا والآراء الصائبة . فكل منهم يجري مجرى وزير .. فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسمي الوزير : وزيرا ، وكان قبل ذلك يسمى كاتباً ومشيرا (١) .

ويتفق علماء السياسة على ان اول وزير في الاسلام هو (ابو سلمه الخلال) حفص بن سليمان . كان مولى لبني الحارث بن كعب استوزره الخليفة العباسي الاول ابو العباس السفاح ونحن نذهب الى ابعد مما يذهب اليه هؤلاء العلماء . فنقرر ان ابا سلمه كان وزيرا من قبل ان يكون ابو العباس خليفة وذلك ان ابا سلمه كان رئيس الدعاة الذين يدعون في خراسان والعراق الى نقل الخلافة عن الامويين الى بني هاشم بيت الرسول ﷺ . وقد بذل في تأييده هذه الدعوة جهودا جبارة ومالا كثيرا . وكان ابراهيم الامام كتب الى اصحابه في خراسان انه اسند امرهم الى ابي سلمه (فقبلوا امره ودفعوا اليه خمس اموالهم ، ونفقات الشيعة . . ولما هزم ابن هبيره – الامير الاموي – ودخل حميد والحسن ابنا قحطبة الكوفة (من قواد الدعوة العباسية) اظهرا ابا سلمه وسلما اليه الرياسة وسمياه . وزير آل محمد » فدبر الامور واظهر الامامة الهاشمية ولم يسم الخليفة .

ويذكر المؤرخون انه حاول نقل الخلافة الى ابناء علي بن ابي طالب . ولكنهم رفضوا ولما قدم عليه العباس واهل بيته انكر ابو سلمه مقدمهم وقال خاطروا بأنفسهم وعجلوا ولما سألوه الاذن لهم بالدخول الى الكوفة ليحرزوا بها اذن

---

١ – عبقرية الاسلام ص ١٨٤

لهم على كره ، وكتم امرهم نحوا من شهرين من جميع القواد والشيعة .. وفرق عماله على السهل والجبل وصارت الدواوين بحضرته والكتب تنفذ عنه وترد عليه وهكذا انفرد ابو سلمه بجميع اعمال الخليفة الغائب من تدبير الامور وجباية الموارد وانفاقها والتولية والعزل وقيادة الجيوش ونحو ذلك .

ولما اكتشف قادة الجيش مخبأ ابي العباس السفاح وبايعوه خاف ابو سلمه على نفسه ، ولكنه ذهب مع ذلك الى ابي العباس وبايعه معتذراً عن تأخيره فقال له ابو العباس « عذرناك ياباسلمة غير مفند » وحقك لدينا معظم ، وسابقتك في دولتنا مشكورة ، وذلتك مغفورة ، انصرف الى معسكرك لايدخله خلل (١) .

لم ينفرد ابو سلمه في ادارة الامور اكثر من شهرين ونصف ، ثم قتله ابو مسلم باشارة من الخليفة ، فما ندري على التحقيق حدود سلطانه بعد ان قبض السفاح على الامور ، وحسبنا ان نفهم من قصة هذا الوزير ان (الواقع) سبق (القانون) فقد شاءت الظروف ان يكون الامام المرشح للخلافة بعيداً عن مركز عمله فقام باعماله كلها وكيل عنه ، ولما تولى الخلافة صاحب الحق فيها وجد نفسه امام (حالة راهنة) وهي قيام رجل بادارة امور الخلافة كلها ، فاقرة في بعض امره على الاقل ثم جرى هو والخلفاء من بعده على سنة اصطناع الوزراء الذين ينهضون عنهم باكثرية اعباء الملك ويقومون بدور (الوسطاء والسفراء) بينهم وبين الشعب . قد يقال ان ابا سلمه فرض نفسه على الخلافة ، ونال سلطته في غيبة الخليفة فلا يصح ان نتخذه مقياسا في الحكم من سلطة الوزراء ولكننا نستطيع ان نقول ان اول وزير فوض اليه الخليفة امره كله هو : ابو ايوب المورياني وزير الخليفه ابي جعفر المنصور .

على ان تفويض الخليقة الامر الى الوزير لايعني تخليه عن كل شيء فالخليفة هو الاصيل وله مباشرة الامور كلها متى اراد .

ويجب الا نفهم من الظروف الخاصة علينا التي احاطت بابي سلمه وجعلت منه الوزير الاول في دولة بني العباس ان منصب الوزارة في الدولة العباسية كان وليد الصدفة المحضة بل يجب ان نلاحظ التطور الكبير الذي طرأ على الجهاز الاداري في الدولة الاسلامية في ايام بني العباس فلقد كثرت الدواوين وتنوعت وتفرعت عنها دوائر مختلفة تسمى الدواوين ايضا .

وقد قال « آدم ميتز » ان دولة الخلفاء العباسيين كانت اشبه باتحاد يتألف من دويلات كثيرة وكان لكل منها ديوان ببغداد يدير شؤونها وكان كل من هذه الدواوين يتألف من قسمين وفيه كثير من الموظفين والاختصاصيين

فمن الطبيعي والحالة هذه ان يصبح لدى الخليفة المشرف على تلك الامبراطورية المترامية الاطراف وزيرا او اكثر للمساعدته في تدبير امورها وهذا ما نلاحظه في الامبراطوريات ليعاصره والمجاورة للامبراطورية الاسلامية . فملوك الفرس استلموا الوزراء في ادارة امبراطوريتهم والروم وغيرهم .

اذن ولو ان منصب الوزير الاول نشأ تحت تأثير ظروف خاصة فانه لو لم يحدث ذلك ربما كان من المرجح ان ينشأ هذا المنصب بصورة طبيعية نتيجة لتطور جهاز الادارة في الدولة العباسية .

ولا بد لنا ان نلاحظ ان مانسب الى ابي سلمه من محاولة نقل الخلافة الى ابناء علي بن ابى طالب خلق فى نفس الخليفة الحذر والنقمة وكان سببا فى قتل ابي سلمه وكانت بادرة سيئة جرى عليها بعض الخلفاء العباسيين فيما بعد .

تصميم الغلاف للفنان

الاستاذ : شريف الراس



نقد كتاب مرآة وريشه

بقلم : نديم السيد

ان اول ما يطلعك في كتاب مرآت وريشة لمؤلفه السيد ممدوح مولود .. هو هذه المقدمة التي تعب في تدبيجها الاستاذ الاديب فاضل ضياء .. ولعل صاحب المقدمة قد لاقى بعض العنت في كتابته لها . ونظرا لما تضمنه هذا الكتاب من افكار ومقالات لا تتقيد برابط زمني معين ، او اسلوب ادبي متميز او شخصية تهدف من وراء ما تكتبه شيئاً ما .. !

بل ان الاستاذ الاديب كان جريئا وصريحا فلم يمتدح الكتاب ومؤلفه بصورة مطلقة وترك المجاملة جانبا وقال : ان الكتاب قسمان :.. مجموعة من المقالات التي لم تدرج تحت عنوان معين .. ومجموعة اخرى من المذكرات والخواطر المشوشة التي ينقصها النضج الادبي وهي لا تعدو وحدود الافكار الشخصية والتجارب الخاصة التي مر بها المؤلف الكاتب، والتي يلمس القارىء فيها لأول وهله عدم المقدرة الفنية على الحبك والتصوير .

ويوم تفضل صاحب الكتاب باهدائي نسخة من كتابه الثاني فور صدوره .. ورغم زعمي وتصوري بانني صديق للمؤلف فقد كان الكتاب مفاجأة لي .. لما تضمنه من جهد ضخم وصبر وأناة ، كنت اشفق على ممدوح من تحملها كنت اعرفه انطوائي النزعة تغلب السوداويه على مزاجه وتسم افكاره بطابع التشاؤم المر ، لكنه اثبت باصداره الكتاب وعلى نفقته الخاصة تفوقه على نفسه وخدمته للافكار التي يحملها مهما كان نوعها .. ومهما اختلف الناس في تقديرها .

وانزويت في غرفتي مع كتاب « مرآت وريشة » اقرأ صفحاته بلهفة وشوق ، لا بدافع الاعجاب وانما لمعرفة المستوى الذي وصل اليه ممدوح في كتابه ومدى التطور الذي تطرق الى افكاره ولا انكر انني قضيت وقتا طيبا حاولت فيه ان انفعل بمنطق الكتاب واجتياز حدود الواقع الضيق لأنطلق في اجواء الكاتب ، غير اني اصبت ببعض خيبة الأمل .. مما جعلني اتساءل .. ترى ما الذي دفع الكاتب الى حشد هذه المجموعة المتناقضة من المقالات والخواطر في صفحات تجاوز تعدادها / ٣٠٠ / صفحة دون مبرر ادبي يدفعه الى هذا .. او هدف حيوي وضرورة تقتضيه لمثل هذا العمل .. ولنترك هذا الامر جانباً وندخل في صميم الموضوع .

انني اوافق الاستاذ فاضل ضياء على تقسيم الكتاب الى قسمين ، بل ازيد عليه فأقول ان الكتاب ينقسم الى ثلاثة اقسام :

١ = مجموعة خواطر خاصة بالكتاب .

٢ = مجموعة احساسات في المحيط الذي يعيش فيه .

٣ = مجموعة مقالات تمسح بها الكاتب على اعتاب بعض الشعراء والكتاب المحظوظين .. والتي كانت يجب ان النشر في المجلات والصحف .. لولا سوء حظ الاديب .

بل انني قبل ان ابدأ في مناقشة الاقسام الثلاثة التي كونت بمجموعها كتاب الاديب ممدوح مولود اود ان أنوه بالخطأ الذي وقع فيه الكاتب حين وضع احدث مقالاته في مقدمة الكتاب واقدمها من حيث الانتاج في مؤخره الكتاب فأعطى القارىء بذلك صورة معكوسة عن نموه الادبي ، فكانت مقالاته الحديثة قوية الحبك نتيجة الممارسة مما جعلت من المقالات والخواطر التي جاءت في النصف الثاني من الكتاب مهزوزة الصور ،ضعيفة الحبك الفني اجمالاً

اما المجموعة الأولى .. وهي الخواطر الخاصة بالأديب فهي انفعالات خاصة احس بها الكاتب نتيجة بعض التجارب الفردية والحوادث الخاصة التي كانت تمر به .. وممدوح في هذا القسم يبدو على حقيقته .. فهو تارة عملاقا يستطيع ان يهدم المبادىء السيئة ويبني مجتمعاً مثالياً . وتارة قزماً ينهار امام مشاكله ، و خراى متفائلا تكاد الابتسامة تشرق من محياه ، وحينا يقطر التشاؤم من قسماته حتى لتجد كلمات الفوضى والزيف والقذارة من احب الاوصاف اليه والتي كان يوزعها بعدل على من يعيشون معه .. ونستطيع ان نلمس ذلك في مقالاته .. مع اصدق التمنيات ، التي كان فيها جبانا مع زميل له في العمل طغى عليه بشخصيته المستهترة وافعاله التي ترسم صوره طيبة للحمقى والمزيفين السطحيين من الناس الذين تجردوا من انسانيتهم .

وينقلب الى مغرور متعجرف في مقالته .. رسالة الى كاتب لم يكتب ابدا ، فان صدره لم يكن رحبا لتحمل نقد بريء وجهه له صديق قرأ بعض انتاجه ، ولم يجد له عذرا سوى تفاهة لانه يعيش في الظلام مع القذر ، وانه لم يفهم الادب على حقيقته حين انتقد ادب الكاتب .. بل ان لممدوح في هذه المقالة برج عاجي لايمكن للمراهقين من الكتاب ان يتطاولوا حتى بالنظر اليه ولا بمناجاة السماء لتوفقهم على دأبهم .. فان السماء مع ممدوح وبالتالي فهي لا تجيب الحمقى .

انه في هذه المقالة .. عملاق من الوهم .. وآله من الزيف ، وغرور يقتل في نفسه روح الانسان ، لانه يأبى ان يقع ادبه ، ان كان حقا ادبا .. في ايدي الحمقى .. وكان عليه مسبقا ان يكتب قائمة بالقراء الذين يرضى عنهم ، وان يصدر قائمة سوداء بغير المرغوب فيهم .. وانا اشفق على ممدوح من هذا الغرور الذي يحيط به نفسه واجده اعجز من ان يكتب ادبا يصلح للقراء ، وخذ رأي عدوك فيك قبل ان تأخذ رأي صديقك فانه يفيدك وقد يكشف لك الزيف الذي تعيش فيه .

ثم يعجب بوصفي .. الصديق الصامت الحكيم — بوذا القرن العشرين — الذي فتح له قلبه وحمل عنه اعباءه ومنحه الاعجاب والتملق حتى يزيد من شروره وعظمته .

وبين الحين والحين يلمح له عن الواقع الذي يجب ان يحيا فيه الاديب .. وأدمن ممدوح هذا الاعجاب ووجد في وصفي صديقا سهل الاقناع وتفضل بكيل المديح له مما جعلني اشك في صديق العاطفة التي تنبض من خلال سطور الكاتب في مقالفه .. عزيزي وصفي ... ثم متى يقول بوذا ـ اقصد وصفي ـ رأيه بصراحة في ادب الكاتب الاشهر ..

واجد ممدوح في مقالة الضمير الاجتماعي .. اعجز من ان يتفهم مشكلة التفاوت في الخطوط ، فالاخ الجامعي يتخلى عن الانسانية لمجرد انه يدرس في كلية الهندسة ويتسامى على اخيه الذي تعثر في دراسته ولايشترك بابسط اعباء البيت .. وهو عمل يبعث الاسى في نفس الاديب ، وقد يكون له بعض الحق .

وفي مقالة المنتحرون .يتجلى الخوف والقلق والشعور باليأس بعد فشل الاديب في احد الفحوص وانتحار زميل له نتيجة فشله وهو يحاول ان يجد مبرراً لهذا العل تطائش ويوازن بين الانتحار والعذاب .. بين الفشل وقيمة الحياة ذاتها .. ويخص في النهاية الى نتيجة مفرقة في السلبية يجد في الانتحار حلا مريحا وحد للمتاعب ، وسخفاً للحياة فهي ارخص من ان يتعذب من اجلها الانسان .

وفي كتابك الاول «مبادىء» من باريس مجموعة من انفعالات والعواطف الصادقة التي ترسم ان شخصيتك من خلال سطورها وتعطي للقارىء فرصة . اكتشافك على حقيقتك في تفاؤلك وتشاؤمك .. في نجاحك وفشلك .. في حبك الاول .. رغم ان اسلوب الكتابة من المتماسك والقوة بحيث تجد الثغرات التي تجعل من الصور الادبية اقل وضوحا ورصانة .

اما في كتابك الثاني فيتجلى تمكنك من اسلوبك وقدرتك على انتقاء الالفاظ المتينه المسبوكة جيداً وتركيز لافكار لكونك تعرف جيداً ماذا تكتب ، رغم الغرور المنطلق من بعض سطورك وقدرتك في الحكم على الكاتب الذي لم يكتب ابدا او الشاعر الذي يتبجح بالشعر وهو منه براء او صاحب المجلة الذي اغمطك حقك ولم يكتشف جوهرك المكنون لقصر في بصره لا لتفاهة مقالاتك التي لا لون لها ولا طعم .

وضعف العاطفة يبدو واضحا في .. مرآة وريشة ..
لانك حاولت ان تنفعل بالافكار الواردة فيه ولم تنجح
كانت عواطفك نوعا من التبجح الذي افقدك المكاسب التي
حاولت نيلها عن جهدك الفني ، ومرة ثانية اعود فأتساءل
عن الدافع الذي جعلك تحشد هذه الافكار غير المتجانسة في
الشكل هزيلى في المضمون ، واقول بصراحه انني كنت
انتظر منك بعض القصص الرائعة التي تعيشها في واقع
حياتك او بعض المقطوعات الشعرية الناجحة .. لا نبش
المقالات القديمة لتكمل كتابك الذي قدرت ان يكون في
٣٠٠ صفحة ومن ثم رحت تبحث عن الافكار .. لا يهمك
النوع او الجودة .. ولهذا صرت تعقد المقارنات الشعرية
وتلخص بعض الكتب المشهورة واحرى بهذه المقالات
الصحف والمجلاب لا البقاء في اثر ادبي دائم وان تجد
الافكار ومن تم لا اهمية لعدد الصفحات التي تستغرقها
هذه الافكار .

عزيزي ممدوح : كلمة اخيرة اقولها لك قبل ان انهي
رسالتي اليك .. انك قد تقدمت تقدماً ملحوظاً في اسلوبك
الادبي ، وهذا التمكن من اللغة يجعل بين يديك وسيلة
ناجحة للتعبير عن افكارك ، وواجبك لتصل الى النجاح هو
انتقاء الافكار التي تتماشى مع واقع حياتنا وتنطبق عليه
بطريقة الاحياء .. بطريقة الفرض واستبداد الرأي كما
لا حظت في اغلب مقالاتك فانك اذ اوحيت للقارىء
الفكرة واقتنع بها تكون قد كسبت شوطا الى النجاح .

وان اقدر فيك شيئاً .. فانما اقدر لك هذا الجهد
الصامت الذي قمت به في سبيل انتاجك الثاني ، والتكاليف
المادية التي بذلتها لتحمل مشعل التعبير الحر من الآراء التي
لم يجرؤ مجتمعنا على الجهر بها .

انك فدائي في الادب .. وليس كل فدائي ناجح ..
انما الناجح هو الذي ينتقي انسب الفرض للظهور ويسلك
اضمن الطرق للوصول الى هدفه ، ويقدم اجود الانتاج
واكثر تطابقا وتماشياً مع الواقع .

ولكنك اخترت الطريق الصعب .. هدفك الى ذلك
كبرياؤك وصلفك واعجابك بنفسك وهذه امور يبررها
لك معيارك الشخصي للامور المحيطة بك والمبادىء التي
تلتقي بها في كل مكان .. شئت ام ابيت .

وتقبل مني خالص شكري ووافر امتناني لتفضلك
باهدائي نسخة من كتاب الثاني . وهو عمل نبيل تقوم به
تجاه صديق لك اختلف معك في المشارب والافكار ،
ولكن الحياة تدفع صديقك مرغما في الطريق الذي يسلكه
كما تدفعه الحياة مرغما للسير في طريقك الوعر .. وليس كل
ذي جرح يئن .. ! وليس كل ذي انه ضعيف .. بالعكس .
فقد انقلب انينك انت الى زئير قعصف به المحيط الذي تحيا
فيه .. وصمدت امام العواصف الهوجاء التي حاولت ان
تعصف بك .. ولم تيأس ... بل لازلت تكافح في عناد .
ولهذا فاني احيي فيك طموحك ونضالك .. احيي فيك
الانسان الذي لم يقعده اليأس عن الكفاح من جديد ..
وليس العيب ان يفشل الانسان .. انما العيب ان يبقى حيث
فشل .. وسأهنئك من صميم قلبي حين تجتاز طريق الشوك
وتصل الى ورود امانيك .

ودمت للمخلص الذي كان ومازال يكتب

نديم السيد

مسرحيات فاشلة

بقلم : شريف الراس

جرت العادة ان لانتحدث الا عن الاعمال الفنية الناجحة . اما النتاج الفني الفاشل فيكفيه ان نتحاشاه ونغض عنه الطرف .. واراني اليوم مضطرا لان اعاند هذه العادة وافعل عكس مقتضاها ،ذلك ان حديثي يدور اليوم عن المسرح . والمسرح في بلادنا ناشيء واظنه ستظل ناشئاً مالم نقف عند كل تجربة مسرحية فاشلة كانت ام ناجحة فنتفحص عن قرب اسباب فشلها او عوامل نجاحها . ونصوب اعمال المستقبل على هدي من تجارب اليوم والامس.

والمسرحيات الست الفاشلة التي احب ان اتحدث عن سباب فشلها اليوم . هي من جملة المسرحيات التي تقدم بها اصحابها - اقصد مخرجيها ومؤلفيها وممثليها .. الخ - الى مسابقة الاندية التي اجرتها وزارة الثقافة والارشاد القومي لاول مرة في الشهر الماضي .. وهي مسرحيات شاهدناها في حماه وحلب واللاذقية ، ولا فائدة من ذكر عناوينها او التصريح باسماء الاندية التي تقدمت بها . بل يكفي - ان كنا نتوخى الفائدة حقا - ان نتحدث عن اسباب فشلها التي اغرب ما فيها انها اسباب مشتركة نجدها في ما قدمته اندية حماه وحلب واللاذقية جميعاً .

واول اسباب هذا الفشل ضعف النص بل هزاله بل خلوه من شروط التأليف المسرحي ، وانا اعتقد ان النص المسرحي الضعيف يشد الممثل الى الهاوية مهما كان هذا الممثل قديراً . والنصوص المسرحية التى جسدها ممثلو حماه وحلب واللاذقية كانت مؤلفات بدائية اعتباطية هزيلة ، تتسم - ان كانت تتسم بشيء - بالفتكك وفقر الدم ، وانعدام الرابطة وامحاء الحدود بين الشخصيات .. اية شخصيات ؟ لا شخصيات ولا حبكة ولا بداية ولا عقدة ولا ازمة ولا مايحزنون .. بل عبارات مصفوفة على طريقة اذهبي يادابتي الله معك .

وثاني الاسباب في هذا الفشل :ضعف الثقافة المسرحية عند اعضاء هذه الاندية ضعفاً واضحاً صريحاً . وانا لااشك في ان خمسة من مخرجي الروايات الستة لم يكلف نفسه خلال السنوات الاخيرة مشقه قراءة ثلاث تمثيليات و كتاباواحداً في شؤن المسرح هذا عن المخرجين فما بالك بالممثلين ؟! وانا اعد ضعف الثقافة المسرحية ام الخطايا ، ولولاه اذ لما تورط الممثلون والمخرجون في انتقاء التمثيليات التي وصفنا ..

وثالث الاسباب في هذا الفشل : ابتعاد العناصر النسائية عن خشبة المسرح وتحاشيهن « السقوط » في عار الظهور كممثلات . وهذه مشكلة تضعها الانديه المسرحية في رأس المشاكل التي لايمكن حلها الا بالتهرب منها .. والطريف ان بعض الاندية لاتزال تحل هذه المشكلة - او بالاخرى تتهرب منها - بطريقة تخنيث الرجال وتزييفهم بمظاهر نسائية ليلبوا على المسرح ادواراً لا يمكن الا للمرأة وحدها ان تقوم بها . تصوروا مسرحية كاملة تدور كل حوادثها حول امرأة فذة من نساء العرب هي هند بنت النعمان بن المنذر ، وان هندا هذه تلعب دورا حاسما في تأزيم الراوية وبيان مراميها واهدافها ، ومع ذلك فان هنداً هذه على المسرح « رجل » لاهو يعرف كيف يستر رجولته ويتخنث ويتلاعب بصوته ، ولاهو يعرف بل ستميل ان يعرف كيف ينقل الينا احساسات المرأة ومشاكلها وقضاياها ولا هو يعرف كيف يتلاءم بين هذه

المتناقضات الغريبة ، ومطلوب منا في الوقت ذاته ان نغض الطرف قليلا فنشاهد المسرحيه على انها عمل فني ، بـــل عمل فني جيد .

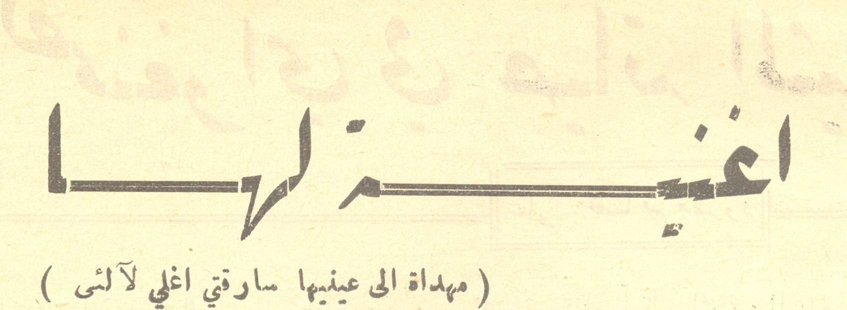
ورابع اسباب هذا الفشل : ضعف ممثلي بعض الاندية والخطأ في فهم فنية التمثيل عند الانـــدية الاخرى اقصد بالاولين هؤلاء الذين يظنون الالقاء عـــويلا ، والتعبير الوجهي سحنة مقلوبة نعرفها في بعض حالات المغص الشديد فقط ، واقصد بالآخر اولئك الذين يجعلون بطلا عظيما من ابطال التاريخ يتحدث بنفس الطريقة التي عرفت عـــن يوسف وهبي حين يقول : « يامجرمة شرف البنت زي عود الكبريت ما يولعش الا مرة واحدة .. حافتلك حالا » . علما بان البطل التاريخي العظيم ، مثل كل رجـــل يعرف نفسه عظيما ، يكفيه ان يتحدث بهدوء ليغير معالم كثيره من قضايا عصره .

وخامس اسباب هذا الفشل . واشدها ظلامة ، وقوع اللغة العربية الفصحى بين يدي — اكاد اقول براثن — هؤلاء الممثلين الذين حرمتهم الظروف من نعمة الاتصـــال بعالم النحو والصرف .. واعتقد ان التشبث القومي هـــو الذي دفع هؤلاء الممثلين لان يلحوا على اللغة الفصحى في حوارهم ، وهي فضيلة نحمدها لهم ، ولكنها فضيلة تستدعي بذل مجهود ما في العناية بمحتواها .

ولقد يطول بنا الحديث لو شئنا الوقف عند التفاصيل على ان محاولة بيان الحل اجدى من ذلك وانفع . وانا اعتقد ان اول ما ينبغي على الاندية المسرحية العناية به منذ اليوم هو تمكين اعضائها من ثقافة مسرحية جديدة وفعالة وحية ، وهذا سيؤدي بها منطقيا لان تعرف كيف تختار النص المسرحي الجيد ، وتفضل تمثيلية ممتازة لـكاتب اجنبي على تمثيلية وطنية ، تظنها وطنية ولكنها لشدة ضعفها تدفعنا لان نطفش من المسرح بل قد نشتهي الخيانة اما العناصر النسائية فان من الطبيعي اليوم — ونحن في الوضع الاجتماعي الذي نعرفه — ان لا تسهم بنشاطها في غير الاندية الثقافية ، واما مسألة اللغة والنطق والالقاء — وهي كل التمثيل تقريباً — فلن تحلها الاعتباطية المناسبات بل لها من دروس مجهدة على ايدي اساتذة قديرين . وقد تكون كل هذه الحلول اولية او خيالية الى حد كبير مالم تدعمها الدولة بعمل « شيء ما » . واعتقد ان من واجب وزارة الثقافه — صراحة — ان تتقدم لعمل هذا « الشيء ما » وذلك بتنظيم دورات تثقيفية متتالية في كافة مدن الاقليم لمد عناصر الانـــدية المسرحية بثقافة مسرحية عامة ، ودروس في التمثيل والالقاء والنطق وكافة الشؤون الاخرى . ومالم تبادر الوزارة لتحقيق ذلك فان المسرح الناشيء سيظل عندنا ناشئاً مثلما كان ايام ابي خليل القباني ناشئاً ايضاً .

شريف الراس





(مهداة الى عينيها سارقتي اغلي لآلئي)

ياوردة الروضة الغنـاء معـذرة — اذا مددت يدي في روضك الغرد
فقـد سكرت باحلامي واخيلتي — وغير شاطئك المعطـار لم اجد
ياقطـة المنزل الممراح مثلي من — يهيم بالقطط السمراء لن تجـدي
اهواك كالبرعم المزهر فاتنـة — في بسمة سكرت من حذوة الجسد
اهواك في طلعة قدست صورتها — وفي تمـاثيل اهل الفن لم ترد
يا نجمة التائه السـاري بلا قبس — من الضياء اشعي النور واتقـدي
ياربة الـكافر العربيد قـد ظمأت — روحي الى النور والايمان والرشد
ارنو اليك .. الى دنياك في لهف — وفي رجاء ..وفي شوق .. فداك غدي
ألم تحدثك اطراف الوسـادة عن — طيف يرفرف حول المضجع الوغـد
ألم يقل لك اني قـد اتيتك من — قلب شقي ، نبيل الشوق مضطهد

..*..

غـداً نغني معـاً ، نسـقي الحياة اناشيد الهوى فلنا الدنيا الى الابـد
لقد وضعت حياتي في يديك فمدي لي يـداً انني هـا قـد مـددت يدي

* * *

فلوريدا ـ ممدوح مولوه

«مع همنغواي في حياته المثيرة»

بقلم . هشام مطرود

كان لنبأ وفاة الكاتب الاميركي العظيم ارنست همنغواي رنة اسف بالغة ، امتدت حتى شملت جميع الاوساط الادبية في العالم ، وقد تحدثت عنه كبريات المجلات الادبية في العالم واشادت بالدور الرائع الذي لعبه هذا الكاتب العبقري على مسرح الادب العالمي . خلال مدة طويلة من الزمن تمتد منذ ظهوره ككاتب روائي اميركي من طراز رفيع حتى وفاته في مطلع هذا الشهر - تموز - اثر اصابته خطأ بطلقة نارية من بندقيته ..

ولعل في هذه الضجة التي احدثتها وفاة همنغواي - بهذه الطريقة المؤسفة - لاكيد دليل على ما للكاتب الراحل من مكانه مرموقة في دنيا الادب العالمي ، وكل من قرأ همنغواي في رواياته العديدة الرائعة والتي ترجمت الى معظم اللغات العالمية الحية يدرك معنى ان يخسر الادب العالمي هذا الكاتب الفذ ..

وقد اجمع النقاد العالميون على ان سرروعة مؤلفات همنغواي تكمن في حياته التي كانت عبارة عن سلسلة متواصلة من المغامرات المثيرة والتي عاش احداثها بما عرف عنه من احساس مرهف ، وتفهم عميق لمعاني الحياة واحداثها . ولعلنا باستعراض سريع لحياة ارنست همنغواي نلقي بعضاً من الضوء على العلاقة الوثيقة التي كانت قائمة بين الحياة التي كان يحياها بصدق واخلاص ، وبين مؤلفاته العديدة التي جعل مسرح الاحداث فيها يتنقل الى مناطق متعددة في العالم ..

ولد همنغواي في « اول بارك » من مقاطعة النويز في ٢١ تموز سنه ١٨٩٨ وكان ابوه طبيباً ولكنه كان مولعاً بالصيد والقنص فما بلغ الصبي السنة الثانية من عمره حتى اعطاه والده قصبة لصيد السمك ، ولما بلغ سن العاشرة اعطاه بندقية على انه ما بلغ الخامسة عشرة حتى تجلت فيه روح العناد فهجر بيته لان اباه كان يرغب في تعليمه ، الطب ، وامه ترغب في تعليمه الموسيقى اما هو فكان يرى غير ذلك على انهما حملاه على الرجوع اخيراً الى البيت كي ينهي دروسه في المدارس العالية فلما انتهى من دراسته هذه كان ذلك اخر عهده بالمدارس وذهب بعد ذلك الى « كانساس ستي » حيث عمل مخبرا لجريدة « النجمة » وكان ذلك في عام ١٩١٧ حين كانت نيران الحرب الاولى مشتعلة فما كان من همنغواي الا ان انضم الى احدى فرق الاسعاف الذاهبة الى الجبهة الايطالية فاصيب بجراح واضطر الى الاستعاضة عن رضفه ركبته برضفة من البلاتينوم ..

وعاد بعد الحرب الى اميركا حيث تزوج فتاة احبها منذ صباه اسمها هادلي رتشارد سون ، ولما عينته جريدة « نجمة تورنتو » الكندية مراسلا لها في البلاد الاجنبيه انفتح امامه باب السفر فذهب وزوجته الى باريس في عام ١٩٢١ وسكن فيها . ثم تنقل بين فرنسا واسبانيا التي تفهمها اكثر من تفهمه وطنه واتسع له الوقت للكتابة كتابه الاول الذي عنوانه «ثلاثة حجارة وعشر قصائد» فصدر في باريس عام ١٩٢٣ ولكن الاقبال عليه كان قليلا :

ثم اصدر كتاباً آخر في عام ١٩٢٥ عنوانه «في ايامنا» كان نصيبه نصيب الكتاب الاول على انه حين اصدر في سنة ١٩٢٦ كتاب « الشمس ايضا تشرق » اتته الشهرة بين ليلة وضحاها اذ انه تناول في هذا الكتاب الجيل الذي نشأ بعد الحرب فأجاد في وصف جموحه وشكوكه ومجونه وانغماسه في الملذات ولكنه مزج انتقاده بشيء من العطف

وازدادت شهرة همنغواي حين اصدر عام ١٩٢٩ كتابه الرائع « وداعا ايها السلاح » وهو كتاب رائع الاسلوب شديد التأثير في النفس وفيه يصف غرابة حياة رجل اميركي يقاتل في الجيش الايطالي في حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ وبعد ثلاث سنوات اصدر كتاباً آخر اسماه « الموت بعد الظهر » دل على تقدمه في الكتابة فبينما هو يصف مصارعة الثيران اذا به يتعمق فيجعل من الثور ومصارعه رمزاً للصراع بين الانسان والموت ..

ومن اهم اسباب الشهرة التي نالها همنغواي انه لايكتب الا عما رآه واختبره

ويغلب الظن انه في تنقله واعماله لم يكن قصده الاول جمع المواد للكتابة ولكن محيطه كان يوحي اليه بمواضيع شتى فالرحلات التي كان يقوم بها في ولاية ستيفن للقنص واصيد السمك اوحت اليه بكتابه « في ايامنا » واختباراته في الحرب الاولى دفعته الى تأليف روايته الرائعة « وداعاً ايها السلاح » ومن مؤلفاته الشهيرة « الشيخ والبحر » التي وصف فيها ذروة الصراع النفسي ، وحياته التي عاشها في باريس بعد الحرب تتمثل في كتاب « الشمس ايضاً تشرق » والسنوات التي قضاها في اسبانيا اوحت له بالفكرة التي بنى عليها كتابه « المــوت بعد الظهر » وعــدة قصص اخرى صغيره .

وقد كتب في اسبانيا نفسها روايته « لمن تقرع الاجراس » والتي تدور حوادثها اثناء الحرب الاهلية الاسبانية . وكذلك كتب في اسبانيا روايتــه التمثيلية « الفيلق الخامس » وكان حين كتابتها لا يبعد سوى ١٥٠٠ يارده عن خط القتال

وكذلك اتخــذ همنغواي من بلدة « كي وست » بفلوريدا موضعا لرواية عنوانهــا « من له وليس عليه » واستوحى من سياحته في افريقيــا كتاب « تــلال افريقيا الخضراء » ورواية عنوانهــا « ثلوج كامنجارو » وفي هــذه الكتب تبدو مقدرة همنغواي على ربط اختباراته ربطــا محكما بالمواضيع التى يكتب فيها ..

اما عن شخص همنغواي بالذات ، فهو رجل كبير الجسم اسمر اللون ذو طلعة مهيبة وقد كان في السنوات العشرين الاخيرة من حياته حديث الناس . وهو على جانب عظيم من الشجاعة لايعرف معنى الخوف فكأنه من الرجال الاشداء الذين يصفهم في كتبه ، وهــو لا يمزج بين حياتــه الخاصة ، وحياته العامة بل لقد نال من هــدوء الحياة الشخصية ما لم ينله غيره من المشاهير

وقد تزوج من بولين فيفر بعد طلاقه من هادلي رتشاردسون فكان مصير زواجه الثاني الى الطلاق ايضاً وفي عام ١٩٤٠ تزوج « مرثا غلهرون » وهــي كاتبة ذات شهرة فقاما معاً بمواصلة الصحف بانباء الحرب الاسبانية وفي عام ١٩٤١ ذهب الى الصين لموافاة الصحف بانباء الحرب الصينية اليابانية . ثم غادر الصين الى انجلترا حيث قامــا بموافاة الصحف الاميركية باخبار الحرب من لندن ومن الاماكن المغزوة في اوربا من قبل الجيش النازي ..

وقليلون هم الادباء الذين قضوا ماقضاه همنغواي من الوقت الطويل في ساحــات القتال – ففي حــرب ١٩١٤ ١٩١٨ كان يسوق احــدي سيارات الاسعاف وكان احــد جنود المشاة ولما اصبح مراسلا للصحف والمجلات اتيح له ن يشهد القتال في اسبانيا والصين والشرق الادنى ولذلك فهو يرى ان الاختبارات الحربية تفيد الكاتب افادة عظيمة اذ يتاح له ان يتفهم قلوب البشر وعقولهم وهو يرى « ان الجواد ليحمل الانسان الى حيث لا تحمله رجلاه وان النقالة الميكانيكية لتحمله الى ابعد مما يحمله الجواد على ان النقالة الميكانيكية ليست بافضل من قلب الانسان الذي يديرها »

على ان رسائل همنغواي الصحفية لم تنل الشهرة التي نالتها رواياتــه المتضمنة اختباراته الحربية فهو مهما احب المغامرة السوداء في الحرب ام في القنص ام في مصارعة الثيران فانه كاتب قبل كل شيء ، ولذلك فانه عندما عرض في كتبه ما لاقاه من الحوادث والتجــارب احبه ملايين القراء وعدوه خير مثال لابناء جيله .

ويعتبر همنغواي اعظم كاتب اميركي بلا منازع او من

اعاظم الكتاب في العالم . وهو يختلف عن كثيرين من الكتاب بدأ به على تمحيص كتاباته وسعيه الى تحسينها ولذلك فانتاجه يزداد روعه كلما كتب رواية جديدة ، وهو وان كان يكتب باسلوب سلس رائع فهو لايرتاح الا اذا نقح ما يكتب مراراً وهو « يقول ، ان اول ما افعله عندما اكون مسترسلا في كتابة رواية جديدة هو ان اراجع كل مامر فيها فيهون عملي علي ثم اتناول الكلام وابنيه كما يفعل البناء بالقرميد واكتب بخط واضح ودون عجله » .

ولما كتب رواية « لمن تقرع الاجراس » قضى في كتابتها سبعه عشر شهراً يعمل من الساعة السابعة ونصف حتى الساعة الثانية والنصف ظهراً .

اما عقيدة همنغواي الشخصية فتتجلى في عبارات ختم بها رواية « الموت بعد الظهر » وفيها يقول « ان المهم هو ان تصبر وتنهي عملك وان ترى وتسمع وتعي وتفهم وان تكتب عن معرفة لا قبـــل ان تعرف ولا بعد فوات الوقت ، ودع الذين يريدون انقاذ العالم وشأنهم اذا اتيح لك ان تراه واضحا وكاملا »

ولهمنغواي رأي في الادب والمذاهب المختلفة فهو يرى « ان الاديب يستطيع ان يكفل لنفسه سيرة حسنة ـ مادام حيا ـ اذا هو اعتنق قضية سياسية وعاش يعمل من اجلها ، وجعل اعتناقه لهـا مهنة ، فاذا فازت تلك القضية ارتفعت مكانته .. يستطيع المرء ان يكون فاشياً او شيوعياً ، فاذا اعتدل جده فقد يصبح سفيراً او قد تطبع الحكومه ملايين النسخ من كتبه ، او قد ينال غير ذلك من التقديرات السنية التي يحلم بها الصبية . . ولكن لاشيء من هذه الامور يعينه على ان يكون اديباً الا اذا استكشف جديداً يضيفه بأدبه الى المعرفة الانسانية » .

ولذلك نرى أن همنغواي قد عقد النية على ان يجيد لكتابة ويتفهم معاني الحياني جميعها فتم له الامران . وهو لم يرغب قط في ان يكون من المصلحين بل اقتصر على ان يكون مدونا لانه رجل حساس لا يتمالك عن تدوين احساساته فاذا جاءت كلماته عظات فليس ذلك عن رغبة في الوعظ .

وقد شهد الكثيرون لهمنغواي بأنه بتفهمه للعواطف الانســـانية يضاهي ابسن وكافكا وبروست وجويس ودستوفسكي فهو اذا وصف الاسباب الخفية والدوافع الغريزية التي تدفع الانسان الى الشر أجاد بل ابدع . وكثيراً ما يستند في كلامه الى ما للبشر من شجاعة او شهامة او محبة، واذا استعار بعض التعابير العامية ابدع في تأدية افكاره .

وقد قال احد النقاد في ذلك « ان كلماته لتستوقفك اذ تبدو كل منها كأنما هي حصاة مرفوعة من غدير او كأنما هي ذات حياة لها لمعانها ولذلك فاذا قرأت احدى صفحاته فكأنك تنظر الى قاع الغدير من خلال مياه متدفقة » .

ولهمنغواي قدرة عجيبة في تصوير البشر على اختلاف طبقاتهم القومية والاجتماعية وكثيرون هم حاولوا ان ينهجوا نهجه في الكتابة لان اسلوبه سهل ممتع بايجازه وبما يتضمنه من التعابير التي تصور الحياه تصويراً صادقاً كالتعابير المتداولة بين الناس وفي الجرائد . وفي خنادق الجنود .

ولا بد قبل ان ننهي هذه اللمحة عن حياة همنغواي من ان نشير ان روايتـــه « لمن تقرع الاجراس » التي صدرت عام ١٩٤٠ كان لها الفضل الاكبر في شهرته العالمية اذ ان هذه الرواية جاءت خير برهان على موهبته العظيمة بل انها خير وابدع ما كتب والقصة تروي حياة اميركي قاتل في الحرب الاهلية الاسبانية وتصور كيفية موته ومن صفات هذه الرواية انها صادقة اللهجة موفقه الى ابعد حدود التوفيق وقد عدت من اروع ما كتب في السنوات العشرين سنة الماضية ..

وبعد . .

ما اشبه حياة هذا الكاتب العبقري ، بمنبع ثر ، كان يمد الناس بالماء العذب النمير ثم جف ماؤه فجأة ..

الحسكة ـ هشام مطرود



انطلاقنا الحضاري.. محفزاته ومثبطاته

بقلم : ادواد يعقوب شمعون

بعد ان طالعت مليا ، حديث الاستاذ سعد صائب أيهما اجدر بالتكريم .. الغزالي ام ابن رشد) في عدد تموز الماضي ، من هذه المجلة الغراء ،خرجت برأيين متناقضين عن واقع دور الفكر العربي المعاصر ، في حل المتشابك من مختلف المعضلات التي تعترض تطور العربي خاصة ،والانسان عامة ففي اول هذين الرأيين ، التوكيد على ارادة العبقرية، في ان تساهم بديهيا برصيدها الفكري ـ لكل الامم المتحفزة ـ الى جانب الفكر الانساني ، في معركة التحفز الشاملة . والرأي الثاني يظهر ، في محاولة بعض (هداتنا) عقف الفكر العربي على ذاته ، دون المد الفكري الشامل ، في حدود بعض الآراء البالية ، ذات الطابع غير التقدمي . ولست ادري مدى صحة هذين الرأيين ، الا بالمقدار الذي تريني اياه انطباعاتي عن احداث اوساطاننا الفكرية في الاونة الاخيرة وما اعقب على هذه الاحداث ، من انتقادات احاول جهدي ان اجعلها منطقية واضحة .

والمفروغ منه مبدئيا ، ان الفكر العربي الثوري ، مندفع في القضاء على كافة مخلفات المستعمر على منطقتنا وواقعنا في محاولة جريئة ، تأمل يوماً هجر تقليدنا للغربي ، وايقاف اجترارنا ، كافة تخطيطاته الحضاريه ، التي عمت جميع نواحي حياتنا ، والصعود بعدئذ الى مستوى مشاركته ، والالهام معه في ايجاد مختلف التخطيطات العلمية ، اللازمة لحضارة العصر .

والوسط الفكري الذي تناوله الاستاذ صائب ، من خلال حديثه بالتقريع ، على عدم تبصره بما اقدم عليه ، حين استشهد باظلم فترة تعصب ، مر بها فكرنا العلمي دليلا على رقينا ، فاتخذ من باعثها الشعوبي الغزالي مثال الفيلسوف ونجح في مسعاه ، الى حد تقديس سفسطائي لقب نفسه حجة الاسلام .. هذا الوسط كان من واجبه ان يتطرق بديهيا الى اسباب انتحال (الفيلسوف) صفة حجة الاسلام فيأتي بامانة ؛ ويذكر صغير على القليل ،على الطرف الثاني ،الذي كان السبب الاول في شهرته باللقب المذكور ، في حقوقه الفلسفية مع ابن رشد ، التي نحن بصددها ؛ فنذكر فيها الغزالي ممثلاً لجبهة شعوبية ، اتخذت من العصبية الدينية ، وسيلة رجعية مضمونة المفعول المناوىء لرسالة اصلاح وتطوير ، بدأها الفيلسوف العربي ابن رشد قبل حوالي الثمانية قرون . وكان من الطبيعي ان ننهل عنه ما يسيل عنه الينابيع العلمية ، لولا جهود (الحجة) المشكوره في محاربة الكافر الزنديق ، الذي كانت له يد طولى ، في ما وصل اليه الغرب من رقي وتطور ، حتى بتنا نشعر اننا نقلد حين نحاول ان نطور حياتنا على آخر الآراء العلمية .

والمسألة التي اثارت الجدال ثم المشادة بين ابن رشد والغزالي) التي تحتم ضرورة وجود السبب ، اذا ماورد فعل المسبب في التجربة .. فابن رشد كعالم وفيلسوف معاً ، آمن بحتمية هذه المعضلة الفكرية ، فالذي يحبسن عنه الهواء مائت لا محالة ، والغزالي كمحارب للعلم ، والعربي خاصة ـ بحكم شعوبيته يتهجم على هذا الرأي قائلا : ان العلاقة الحتمية بين السبب والمسبب غير ضروية ولا لازمة ، فالانسان (عنده) قد لايموت اذ يحبس عنه الهواء ، وقد يموت بلا سبب معلوم ، فلا قيمة للسبب العلمي تجاه القدرات القادرة الخفية .

ورد ابن رشد فقال : ان هذا القول لسفطائي ، فلا موجب الانكار الاسباب الفاعلة في التجربة على الاطلاق

وبين ليلة وضحاها كانت موجة من السخرية والتهكم تسود الاوساط العلميةالعربية تقصيباً على قول الغزالي الذي اصبح موضح التندر والتفكه ، فمتى انعدمت العلاقـــة الحتمية المحسوسة بين طرفي (السببية) ، لم يبق لموضوع التجربه طبيعة ثابتة ، فجاز انقلابه الى اي شيء آخر ، ومثل ذلك : آني عندما يدعوني صديقي لزيارته في منزله ، لست متأكداً من انني حين ازوره ساجده كعهدي به : اذ ـ انا ذو صفات معينة معلومة لدي ، فلعله ينقلب قرداً او حيوانا ، او شيء آخر ، طالما ان (للقدرات القادرة) فعل غامض في مجريات الامور ، واذ تخيب آمال (الحجة) في حيازة تأييـــد الاوساط الفكرية العربية ،يحاول بحكم سفسطته التذبذب ، فيقول : لم ندع ان هذه ان الامور واجبة ، بل هي ممكنة يجوز ان تقع ، ويجوز ان لاتقع ، واستمرار العادة بها ، مرة بعد مرة ، ترسخ في افـكارنا جريانها على وفق العادة الماضية ، ترسخا لاتنفك منه .. الخ ..

نعلم ان اسباب هذه المشادة تعود لتهجم الغزالي في (تهافت الفلاسفة) على مبلغ العلم العربي آنذاك ، حيث يعترض اقوال الفلاسفة والمشتغلين في العلوم بالتسفيه ،فيكفر آراءهم ومقالاتهم ، ويرمي بالزندقة كل من يدرس عليهم او يسمعهم .. وماذا يؤخر فيلسوف كابن رشد عن الرد المفعم ، على هذا التهجم المغرض على الفلسفة والعلم والعاملين بها ، وهو الذي اعتبر من اعاظم شراح فلسفة ارسطو .. غير فلسفته الخاصة .. اذن ما كان من ابن رشد الا انه رد على الغزالي سفسطته تلك ، بالحجج المنطقية والبراهين العقلية الاكيدة في (تهافت التهافت) ،فاظهر الملأ خزعبلاته وبين تهافت منطقه . وحين يلمس (الحجة) ما بموقفه من ضعضعة وحرج ، لايتوان عن الضرب على وترشعبي حساس هو الدين من باب شعوبي ؛ لا يلجه الا كل طاغية ، يريد بامة شرا فيحاول ان يشوه رسالة ابن رشد بتاليب الرأي العام عيه) فاذا به لا يعقد مجلساً ، او يخطب في الناس الا والحديث هجوم عشوائي مسموم على الفلسفة والعلم ، فالفلاسفة اعداء الله ، منكري وجوده ، والعلماء يتحدون دوماً ارادتـه تعالى في تغيير سننه الخالدة في الكون (ولن تجد لسنة الله تبديلا) . فيتملك على المنعتين القلوب دون العقول ، اذهم ـ الغاصب الصليبي يقرع باب المقدس ـ في شغل شاغل عما هي حقيقة العلم والفلسفة ، وهل تعادي الله ؟ فيشعرون انهم يصمتون عن كافر زنديق ، سيما والقائل الغزالي الامام ، فيختنقون على ابن رشد ، وفي غمرة سورة من سورات تاججهم العصبي ، يندفع جماعة منهم الى الاسواق ودور الكتب ، فيجردون عنها ويحرقون انبل ما اعتصره فكر عربي ليلتقفه الغرب ويدرسه السنين الطوال ،. كل هـذا يحدث و(الفيلسوف) يحمد الله على نجاحه ، في استثارة العصبية الدينية ، التي قضى بواسطتها على شعب باكمله بالجهل والظلام طيلة قرون ، ونال على ذلك نوط(حجة الاسلام) زيادة على اعتبار تخيلاته التصوفية الحق المطلق . فكان ما كان العرب عليه من خمول وجمود فكري بعدئذ وما هو عمله الغرب من رقي وتمدن في اغلب الازمنة .

واليوم .. ونحن ننفض عنا اغلال التبعية والشعوبية والعصبية ، لنصعد ثانية الى مرتبتنا الابداعية الفكرية التي كنا عليها سالفا . اليوم ونحن نعبىء كافة قوانا الثورية الخلوقة في معركة الكفاح الموسد على اعمق ما انتهت اليه التجربة العلمية ، من قوانين تدفع خطانا ، نحـــو افضل مستقبل حضاري اليوم ونحن نستعرض جوانب ماضينا ، كي نجتلي من بعضها الشعاع المحفز على مضاعفة الجهود ، والتقدم لهجر التقليد الغربي الذي اظهرنا بمظهر الطفيليين على الحضارة الغربية .. اليوم لا قبل قرون ثمانية .. ما شاء لبعض (نبغائنا) ان نقبس من امجادنا العديدة ، الامن أشد فتراتنا السابقة عصبية وجهلا ، وبـــدلا من ان يقف هؤلاء موقف المحذر من العاقبة الوخيمة التي اوردنا اليها (الحجة) في عهده ، فنأسي لما كان ، ونتعظ لما سنكون عليه . اقول بدلا من ذلك كله تنادي هؤلاء (المفكرون) الى معرض لمدح الغزالي الحجة الامام ، الفيلسوف ،طبعاً دون التطرق الى نقدة ، فالكريم من صفح عن السيئات والزلات ـ ان اكتشفوها ـ مهما عظمت ، ثم الافاضه في مدحه جهد المستطاع .

حتى ليخيل الى القارىء والمستمع انه ازاء مجموع تراث الفلاسفة : سقراط وافلاطون وارسطو ، فحول الفلسفة اليونانية في عصر ازدهارها .. والا ، فما معنى انصراف عشرات الكتاب والادباء والمتفلسفين الى بحث ودراسة حياة (الحجة) وآراءه في وقت واحد وباسبوع تكريمه ، دون ان يرد لهم ولو على سبيل الصدفة ذكر او نقد لموقف الغزالي المخزي من التراث العلمي العربي الذي عد اعجوبة زمانه في المشارق والمغارب وبعد ؛ ان معاناتنا الامرين من حكم الغرب واستعماره ، ولدت في نفوسنا عقدة خوف من كل ما هو عربي « XENOPHOBIE » ، حتى تمثل الكثير منا وبايجاد (البعض) ، في جلاء علم قائم بذاته عنا الى الغرب ، المصور الكبير لفخرنا القومي . ولكن التطور الحتمي الذي امسى يلف كل جوانبنا في سنته ، جعل من الضروري التخلي عن عقدتنا هذه .

ان العصبية الشعوبية التي تناولت اغلب قيمنا الفكرية في السابق ، فزلزلتها او هدمتها ، او توقفها في اقليمية منكمشة على ذاتها ، قد نالت عنا الكفاءة وبما اننا نريد الانطلاق الحضاري ، فلا بد لنا من التقليد ردحاً من الزمن حتى نصير الى مرحلة تعود فيها عبقريتنا الى اشعاعها العهود .

والحضارة كسلاح تحارب به امتنا ، سيف ذو حدين ، احدهما ايجابي : يتجلى فيه التطور المنطقي الواقعي والآخر سلبي : فيه فقد الاتزان الانساني بين المادة على حياة المرء وتحيلها جحيما نفعيا تتداعى فيه . قيمة الروحية .. الامر الذي اشار اليه البعض حين عزت بعض التقهقرات الخلقية الغربية مجتمعات . فكان المستشهدين بحادث الغزالي قدما ولوا الوقوف في وجهها بذلك . واصحبنا ناخذ عن الغرب علمه ، بينما يشتم فريق منا صراحة انهياره الروحي وكان يلزمنا في الواقع انفتاحاً اكبر على مجالات حضارية دونما خشية ، فنعكس عنه مايؤسس كياننا الحضاري المنشود حتى نفيض عليه بعدئذ من استقرارنا وايماننا الروحيين المنبثقين عن طبيعة نفسيتنا الشرقية التي لازالت زاخرة بهدى قيم الانسان ، ما يشعره اننا نساهم معه كعهدنا ، في معركة ، الانسانية ، للقضاء على القلق الخوف من مستقبل مظلم مجهول ، زجته فيه الاحقاد والتكتلات السياسية و خاصة وقد وجدنا في الحياد الايجابي الفلسفة التي تعبر عن رأينا الصريح ، في معالجة مشكلات العصر ، بلا حروب ولا ويلات .

وان كنا في حاجة لما يحفز همتنا على العمل والتطور فليكن انطباعاً عن اشد نواحي ماضينا تالقاً وبشكل يجعل الغرب يرفع اعجابا اوحداً ، لا سخرية وتهكما .

وباختصار كل ما سبق نقول : اننا لو غفرنا للغزالي شعوبيته التي ادت بنا الى هذه الحالة التقليدية ، فهل يمكننا ان نغفر (لسادة) الفكر العربي المعاصرين ، الذين مـ انتقوا من تاريخنا ـ ونحن في اوج كفاحنا من اجل التقدم ـ الافترة تحولنا عن ركب التحرر والرقي ، الى التقهقر والجمود ، بالاتيان على ذكر المسبب الاول بذلك ، في ابهى حلة ، وكل ما ا ا عليه في تصوفاته (الشطحتين) ، مجموعة اقوال عن (العلوم الربانية) التي يجب ان يحصلها المرء كي يتصل بحضرة الله ، من غير لقب ولا نصب ، ولعمري ان هذه الاقوال جديرة بالسحرة والمشعوذين ، لا بفلاسفة يتخذون مثالا (لعلميتهم) في القرن العشرين ، وكان من الافضل ، ذكر احد شواهدنا العديد في ذمة التاريخ كمحفز على التقدم ، والاشارة في الاخير ، الى حدث الغزالي وابن رشد كسبب رئيسي لو ضعفنا المتخلف عن ركب العلم والحضارة ، والتحذير من الوقوع في ذلك من جديد .

القامشلي ادوار يعقوب شمعون



لقاء الوطن في شعر المهجر :

للاستاذ فريد جحا

اخوتي من الشعر الذين كانوا يذوبون في مهاجرهم وجدا وشوقا للقاء الوطن في شعر الحنين الذي يؤلف ديواناً ضخما من اجمل الشعر ..

ترى ماذا يقولون حين يتاح لهم لقاء الوطن ؟سؤال يجيب عنه هذا الحديث وما سيتلوه من احاديث .

« فريد »

اياب شفيق معلوف

هو من أسرة عريقة تضم في جملة امجادها النسب العالي والعلم والادب والشعر خاصة ، ابوه ـ رحمه الله ـ استحق لقب علامة في التاريخ واللغةو الادب ، وامه ـ مد الله في حياتها ـ في جملة الفضيلات العربيات فى مطلع هذا القرن ، خالاه شاعران ، واخواه شاعران برحمان نجوم الشعر في سماء المهجر بالرائع من القصيد .

في (زحله) جارة الوادي الجميلة ، وفي هذه الاسرة العريقة الشاعرة العالمة ولد عام ١٩٠٥ شفيق معلوف ، ولما شدا شيئا من الثقافة في مدينته واحساساً كبيرا بالجمال من مفانيها ، وتغذى على ضفاف بردى بما شاءمن فكر وعاطفة وتمرس بالصحافة ، رحل الى البرازيل وقد تعدى العشرين بقليل ، وبعد ان طبع في الوطن ديوان شعر يبشر بالخير للشاعر الشاب وان اودعه نظرات سوء في الحياة لاتبسم .

وفي المهجر لم يعرف شيئا من الشقاء الذي قاساه اي شاعر من اقرانه . فلقد كان والغنى على ميعاد ، ولم تكد تستقيم له امور دنياه كأحسن ماأحب ، حتى طلع على دنيا المهجر بملحمة ـ رائعة في الشعر اسماها (عبقر) ، وكانت ـ رحلة خيالية ممتعة قال اكثر النقاد بعدها :

« لقد تربع شفيق على عرش من الشعر بعد ان تربع على عرش من المال »

ونال شفيق بعدها شيئا من الراحة ، ثم اعاد طبع الملحمة في عام ١٩٤٩ في حلة بهيجة بعد ان اضاف اليها كثيرا وكتب لها مقدمة اضافت اليه لقب العالم عن جواره ،وبعد ذلك بقليل طبع في لبنان ديوانيه (لكل زهرة عبير) ونداء المجاذيف) في عامي ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ،ثم كان الديوان الثالث (عيناك مهرجان) في العام المنصرم ، وما كاد يهل صيف هذا العام حتى قدم ديوانه الرابع (سنابل راعوث) الذى كان مختارا من دواوينه السابقة مطبوعة باناقة ساحرة .

وخلال هذه السنوات التي اقتربت من الاربعين كان شفيق معلوف بشهادة كل من عرفه (انسانا) بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى : هذا المال الوفير الذى ناله لم يبعده عن الأدب ، وهذا الجاه العريض الذي استوى على عرشه لم يخلق في نفسه طيفا من كبر ، لقد احب الناس ، واحبه الناس ، وخاصة هؤلاء الشعراء والأدباء الذين زاملوه في (العصبة الاندلسية) التي يرأسها منذ عشرين عاماً .

شاعر انسان هذه دنياه وهذه اخلاقه لابد ان يحن

الى وطنه ، وقدحن شفيق كما حن اخواه (رياض وفوزي) وتمنى لو عاد الى وطنه ينبش في ضفة النهر ليري احلامه :

واهـا له مهبط الهـامي

هل ياترى يوماً اليه اؤوب

انبش في الضفة احلامي

ام ان ياقلبي عند الغروب

اقدام غيري فوق تلـك الدروب

قـد طمست آثار اقدامـي

• • •

وكان الزمان باراً بابنه البارفيسر له العودة الى الوطن بعد اثني عشرة سنة من مغادرته اياه ، وهكـذا حملته السفينة ، في يوم من ايام عام ١٩٣٧ الى لبنان يحدوه عـلى الموج شوق عامر وحنين ظامىء الى (مواطن الالهام) . فاذا لاحت له في الفضاء جبال الوطن تلاعبها رياح الصباح ، ويغمر الفجر منكبها ، شعر بالسعادة واطمأن لهذه القمم التي يتحداها البحر الهائج الصاخب فتقبل التحدي وتصرع صاحبه :

هذه في الفضاء اعلام لبنـا

ن على غرة الصباح بوادي

يغمر الفجر منكبيهافتنكب ـم

عليهـا شيوحة الاعضـاء

قمم صدعت عـلى الأفق بحرا

هـائج اللج صاخب الازباد

تشرئب الجبـال منه فهـلا

ولد البحـر مـن جديـد بلادي

وكان اللقاء ، وكان وحي اللقاء هذه القصيدة مـن (نداء المجاذيف) التي ارسلها في شعر فخم البحر القافية مرنحاً يكاد يتهادى عـلى الموج والشوق من الهودج الذي حمـله الى الشط .

قرب الشط فليقلك المـوج

والشوق هـودج متهـادي

وهكذا كانت قصيدة (الاياب) فخمة حتى في مطلعها الرائع الذي افتتحت به

اي صوت ادعى غداة التنادى

من نـداء الاكباد للاكباد

نعم ليس هناك اصدق حين اللقاء من نداء قلب لقلب وروح لروح .

لقد صدق الزمان فلتجمع – ايها القلب – ذكريات الوادي وضفافه :

صدقت ذمـة الزمان فعدنا

ننفض الجمر من خـلال الرماد

هاك ملهى الصبا فيا قلب لمـلم

ذكرياتي على ضفاف الوادي

وعندما أطل الشاعر على وطنه أمرعت الطيور الشادية تستطلع أوكارها التي غادرتها منذ زمن . اسرعت تستطلع لعلها تجد ظلال الايام الغابرة حين كان الشاعر يزور الرياض في الليالي القمراء ، وينطلق كالغزال الشارد وفوق الروابي والوهاد . لم يكن يحمل حينذاك من ماء الا دموع جفنيه . ولم يكن قد تزود الا بما يضم جنباه من زاد الشعر والفن .

صفقت بالجنـاح مستطلعات

طلع اوكارها الطيور الشوادي

علها تستشف من خلل الاظلا

ل اظـلال غـابر الاعيـاد

يوم أغشى الرياض في الليلة القمراء

وثباً بين الربى والوهاد

شارداً انشد النجوم وفي جفني

مائي وبـين جفـني زادي

وكان للشاعر في وطنه اوتار فتقطعت ، فلم يبق الا أوتار رائعة .. هذة الاوتار هي أهداب هذه المليحة المكحلة عيناها بأجنحة الشحرور ، والتي تقطف النجوم بيداها ثم ترمي بهن تحت وساد الشاعر .. فلتنقل يد النسيم على هذه الاهداب ريشتها لتحمل الى روحه انغاماً علوية ، لانه لم يجد في الوطن سواها أوتاراً :

باتي تقطف النجوم يداهـــا
ثم ترمي بهن تحت وسادي
بفتــاة كأن اجنحة الشحرو
ر كحلن عينهـــا بالسواد
نقلي يا يد النسيم على اهـــدا
بهـا السود ريشـــه العواد
ان اهـــدا بها بقيات اوتا
ري شـدت الى بقايا فؤادي

وكان لابد للشاعر ان يعود قليلا الى الوراء . الى اليوم الذي انشط فيه شوقه للعودة ، ونادى في ضلوعه المنادي خنيناً الى لبنان .. لقد تغنى الكثيرون به فماله ساكتا لا يرد على مغنيه ؟ هل هو مريض ؟ أأنا ايها الوطن (اتيتك زئراً حاجاً ام اتيتك عائداً من مرض ؟ ..

نشط الشـــوق للاياب ونادى
باسم لبنان في الضلوع منادي
كيف لبنان والمغنوه كثر
لم تصفق ضاجاته لشاري ؟
امن العائـــدين انت اليـه
عمرك الله ام العـــواد ؟

وها هوذا شاعرنا ينكب على مياه الوطن يوشغهـا ولكنه يعود منها بحرقة العطش . هل الوطن حزين لفراق ابنائه فهو يأبى ان يروى ظمأهم بمائه ؟ فليعتذر ـ الشاعر ـ لوطنه : انه من هؤلاء المغتربين الذين غـادروا الوطن ينشدون العلا، ويحدوهم العزم، فاذا ما وصلت قواربهم الى شاطىء في الغرب التمع تحت كل شراع نجم :

موطني مـارشفت وردك الا
عـاد منه فمي بحرقة صادي
في قلوب المغربين جراح
وحملوهـا على الجباه الجعاد
لا تلمهم فيوم هجرك كانوا
وعذاري العـلا على ميعاد
يوم رفوا سواحل الشرق بالغر
ب ،ولم يحدهم سوى العزم هادى
كما احتكت المجازي شـــع ـ م ـ
الافق منهم بكوكب وقاد

هؤلاء المغتربون وزعتهم الرياح في ديار متباعدة فهلا جمعتهم ـ ايها الوطن منك ـ النسيم المتهادية ؟ لقد آن لهم ان يخنقوا الشراع ويطووا اعـلام الفتح فلقد طال والله جهادهم.. اما حصيلة هذا الجهاد الطويل لديهم فهي ان ذهب الارض كله لايكاد يعدل تربة الوطن :

وزعتهم كف الرياح فهـلا
جمعتهم يـــد النسيم الهادى
حان ان يخنقوا الشراع ويطووا
عـلم الفتـح بعد طوال الجهـاد
ذهب الارض يعلم الله ما يعد ـ م ـ
له غير تربة الاجـداد

واحس الشاعر ان قصيدته قد اوشكت على الانتهاء فلتكن خاتمتها تغنياً بوطنه ، بامجاده التي ارتفعت عاليه شيء كجباله .. ان الشاعر فخور به له محب كيفما كان .. نعم انه لبنان الذي يحبه .. ولو كان بنوه سيوفاً يلفظون الروح في الاغماد .. انـه لبنان الذي يهواه ولو كان مستضعفاً لا يفتخر بماض ولا يزدهي بمجد .. انه لبنان الحبيب الحبيب الذي هو خفقة في قلب الشاعر ، وما من شيء اعز في القلب من خفقه ! !

يا لطود اعناقـة آخـذات
بجبـال شم من الامجـاد
هو لبنـان هب بنيه سيوفاً
تلفظ الروح وهي في الاغماد
هبه مستضعف الجبان قلم ـ م ـ
يفخر بماض ، ولا ازدهى ببلاد
او فهبة كما تشـاء فحسبي
ان لبنـان خفقة في فؤادي

. . .

« مسكينة »

واخيراً ! .. هجرت ، وكنت ننتظر منك ان تهجر ، رغم كلماتك التي كنت تمطرني بها صباح مساء .. كم تحبها !.. وكم انت شغف بها !.. وكم سعدت بمعرفتها !.. وكم هي صائبـة فلسفتك : « لكي تحسن في اختيار رفيقة عمرك ، يجب ان تعرف وتحب – على حد تعبيرك – كثيرا من الفتيات .. » .

ولكن !.. لم هجرت هـذه المرة ؟ .. لم ضيعت « رفيقة العمر » ؟ .. ولم أضفت اسمها الى قـائمة من عـرفت واحببت وهجرت ؟؟ ..

ستختلق الاسباب - بلاريب !.. ستلصق التهم بفتاتك المسكينة ، ستدنس سمعتها بكلماتك !.. ستطعنها في اخلاقها او في اهلها . او في بيئتها !.. تماما – كما كنت تفعل مع من سبقتها من الفتيات ؟.. لتتم بذلك احدى نقيصاتك – او بالاحري – لتقتل القيم النبيلة عندانسانه ، وتسوقها مرغمة الى حيث تخدر اليهـا نظرات الشك والتساؤل ، وتنصب عليها شتى التهم والاقاويل .. الى حيث تجعلها تكفر بالفضيلة . وتتساوى عندها القيم !..

اليس كذلك ؟.. كن صاحب ضمير هذه المرة !.. وتكلم بصراحة .. بصدق .. بواقعية .. لم هجرت فتاتك وضيعتها ؟.. لا تقل انك اكتشفت انها على علاقة مـع غيرك !.. ولا تفتر على اخلاق والدتها !.. ولا تصم صويحباتها ولا تجرح كرامة عائلتها !.. لانه ما من احد سيستمع الى اسطوانتك في هـذه المرة .. او يقتنع بالأسباب الرخيصة الموهومة التي تحاول ان تخفي تحتها نقائصك ، وتخدع بها – حتى نفسك !..

تـكلم بصراحة وجرأة .. فلعل الصراحة تنقذك مما انت فيه من حيرة وقلق ، ومما تعانيه من مرضـك النفسي الخطير ..

اصدق !.. واخف سوأة فعلتك تحت هذا الادعاء الوضيع الشفاف ، ولكن من غير ان تجعل الالسن الوقحه تلوك سمعـة ضحيتك وتختلق من حولهـا الاقاويل والافتراءات ..

أنقل القصة كما روتها هي لك .. وبأمانة ..

قل : « انها فتاة اجتازت المرحلة الابتدائية والمتوسطة بتفوق .. وما كادت تحصل على شهادة الدراسة الثانوية ، حتى فوجئت بأنه ليس في نية والديها ان تتابع تحصيلها العالي في الجامعة ، انما يميلان الى عقد قرانها على ابن عمها (البناء) سيما وقد اصبحت في التاسعة عشرة من عمرها .. مكتملة النضج .. واسعة الثقافة .. فلم ترضها تلك النية ، بـل عارضتها بالحجة والدموع ، وافلحت في اثناء والدها عن

وهكذا كانت قصيدة (الاياب) شوقاً كبيراً الوطن ، وسعادة غامرة بلقائه واسترجاعا لذكريات الماضي واعتزازاً كبيرا بلبنان ، وبابنائه الذى التمع منهم في كل افق نجم . كل ذلك في شعر عربي اصيل يتهادى في اناقة وفخامة لا عدم الشاعر بينهما وبين جلال المناسبة الى فوفق ذلك وكان مما ساعد ريشة تحسن التقاط الصور ونقشها ، ولفظ انيق وبحر ينسجم مع العاطفة وقافية فيها موسيقا وجمال .

حلب – فريد جحا

نيته ، لكنها لم تستطع ان تقنع والدتها بتأجيل الموضوع.. تلك التي كانت ترى في زواج ابنتها منتهى آمالها، وآخر شيء يمكن ان تحلم به فيما تبقي لها من الحياة ..

وكان ، ان انتصرت ارادة والدتها ، فزفت الفتاة الى ابن عمها – على الرغم منها .. بادئة ذلك حياة كئيبة تعسة جعلت زوجها يقتنع بصعوبة الحياة معها فطلقها بعد شهرين فقط .. مقدراً لابنة عمه ظروفها وانفعالاتها ورغباتها ..

رجعت المسكينة الى البيت الذي ولدت فيه ..

واستطاعت ان تتجاهل نظرات امها الوجيعة المتنهدة .. وتهضم تظاهر ابيها باللامبالاة وعدم الاهتمام بما حدث .. بل كانت على استعداد لان تهضم وتتجاهل كل شيء من اجل شيء واحد.. « ان يسمح لها بالانتساب الى الجامعة لتتابع تحصيلها العالي هناك .. »

وفي ساعة رحمانية ، تمكنا المحبة الأبوية فيهامن قلبي الوالدين فاحسا ان من الحكمة ان يسمحا لابنتهما بالانتساب الى الجامعة .. فعل في ذلك تعزية لهاوتأساء ، وتفكيراً عما اقترفاه بحقهـــا من جحاف وقسوة ..

فاذا بالفتاة تسعى الى كلية الآداب فرحة متفائلة .. كأنما وهبت لها الحياة من جديد ..

واذا بك تهتم بزميلتك الجديدة ، وتختلق المبررات العديدة تتحدث اليها .. ليزداد تقربك اليها يوماً عن يوم، ويزداد تعلقها بك يوماً عن يوم ..حتى واهمتها انها رفيقة دربك وفتاة احلامك وجعلتها تؤمن بأنهـــا الوحيدة التي جالسها وتحدثت اليها من اعماق قلبك احاديث الهوى والغزل وخصصتها بكل ما في قلبك البكر من الحب والحنان، وكل ما في نفسك الكريمـــة من الوفاء والولاء ..

عندما صحبتها الى قريتك الهادئة الجميلة .. وشرفت بمعرفتها اهلك وذويك ومررت الى جانبها على الدروب الضيقة الطويلة التي تظللها اشجار الزيزفون .. تغطيك علمـــا عيون وتحسدك عليها عيون ..

حتى اعتقدت ان للحظة المواتية قد وافت لتطلعك على قصتها الواقعية وتقول لك : « انها ليست عذراء .. »

فاذا بك قاس جاف .. مستهتر بالقيم ، بريء من القلب البكر والنفس الكريمة .. كاذب بالوعود .. كافر بالعهد .. اذ بك خداع .. بائع كلام .. عبد لنفسك المريضة المتقلبة ..

اذا بك ترميها باحتقار .. تنساها .. تنسى ايامك معها .. وتنسى وعـــودك وعهودك ومواثيقك .. هكذا .. ببرود .. بلامبالاة .. بعدم اهتمام ..

اعتقد ياصاح بما تشاء .. وتكلم بما ترضى .. وابحث عن رفيقة عمرك – على رسلك – وفي الامكنة التي ترغب. ستصادفك هنالك فتيات في اعداد الحصى .. في جمال الطبيعة .. ريفيات حسناوات .. عذارى طاهرات . لم يقبلهن احد .. ولم يغازلهن احد .. ولم ير الى اجسادهن احد.

ولكنك لن تجد بينهن من ترضى بها زوجة وشريكة. وحتى لو وجدتها .. لن تطول حياتك معها انها ستهجرها .. سترميها .. كما هجرت ورميت الاحريات ..

لانك مازلت تفقد الثقة في الناس .. حتى فقدت ثقتك بنفسك ..

– قاسم حرب

جوائز الدولة التقديرية

فـــاز بجوائز الدولة التقديريـــة في الاقليم السوري كل من الدكاترة : بـديع حقي ومحمد الفاضل ومصطفى السباعي .